460

HARLEQUIN

روايات أحلام

عندما يموت الكلام

هانا برنارد

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

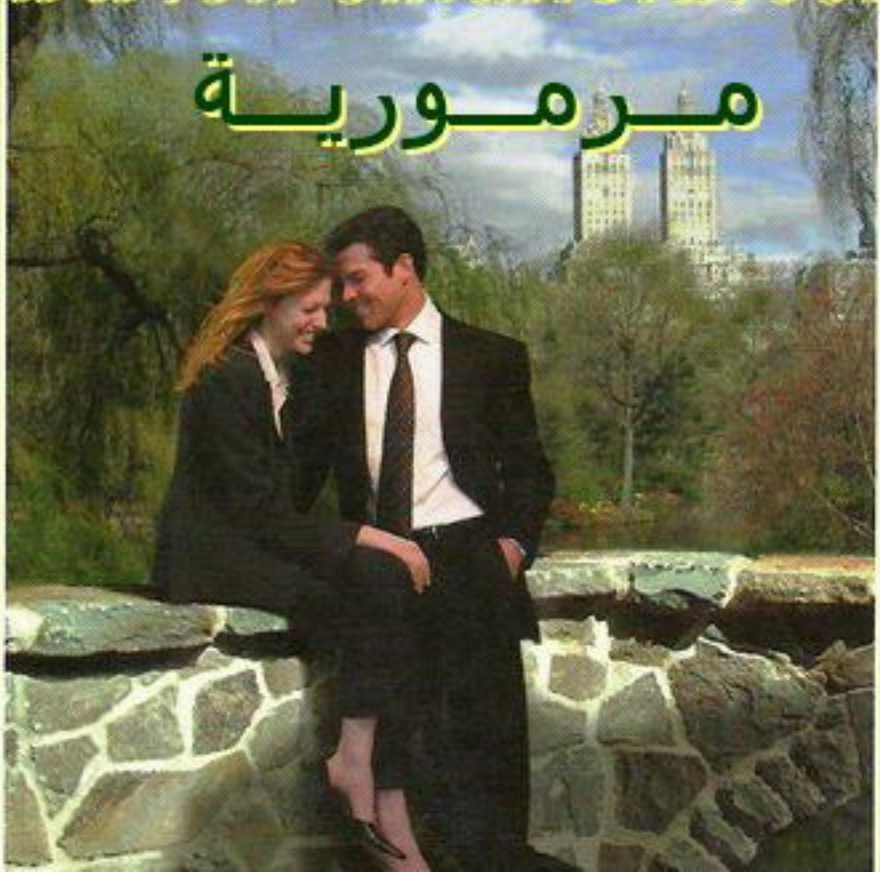

عندما يموت الكلام

هل ستقوم بتلك المخاطرة؟
تعلم ماريا أنها جبانة. إنها تخاف من المرتفعات و تصعقها الأشياء المرعبة. فلماذا وافقت على القيام بتلك القفزة من الجو؟
نعم... تعلم أنها غبية أيضاً. و هي تلوم كبرياءها العنيدة... فهي تريد الحصول على كل ما يمكنها من إدي الذي سيقفز معها. إنه إدي المغامر الذي لا يخاف من أي شيء. حبها الأول... الشاب الذي مشى وتركها خلفه منذ عدة سنوات قائلاً إنها مجرد طفلة!
أصرّت ماريا على القفز معه بالرغم من معرفتها أنه يكرهها بسبب ما حدث بينهما في الماضي. فهل ستقفز من الطائرة لتتحداه! لتربح قلبه أو لتخسر حياتها!

هانا برنار

لطالما علمت هانا ما تريد أن تفعله حين تكبر: أرادت أن تكون عالمة نفس. وبعد أن اجتهدت وكافحت للحصول على إجازة في علم النفس نظرت إلى شهادتها وقالت في نفسها: «لا. أفضل أن أكون كاتبة». ليس لها أولاد تفتخر بهم ولا حيوانات منزلية تشتكي منها. إنها تعيش فقط مع زوجها الذي لا بد أن ينهار يوماً ويبتنى قطة.

تمهيد

تحرك النهر مهسهساً كالأفعى، فيما علت وجهه رغوة كثيفة. جلست ماريا على صخرة وراحت ترمي الحصى نحو مجرى النهر... حفنة كبيرة من الحصى أخذت تغرق في المياه من دون أن تترك أي أثر لها.

بعد أن قضت على كومة الحصى التي كانت بقربها، بدأت تحمل القش فتشبكه ببعضه عشوائياً ليصبح على شكل زورق. ما إن رمت زورق القش في النهر حتى غمرته المياه وجعلته يختفي عن ناظريها، إنه نهر غاضب! لماذا يصر والداها على الإبحار في هذه الأمواج الوحشية ويعتبران الأمر مسلياً؟

بعد لحظات سيقوم النهر بجرفها هي أيضاً، وستختفي إلى الأبد تحت هذه المياه الداكنة المتمردة.

ارتجفت ماريا فجأة. لايزال أمامها أسبوعان قبل أن تبدأ المدرسة الثانوية. أسبوعان من المغامرات بعد تلك المغامرة المرعبة.

- مرحباً!

التفتت ماريا إلى الخلف، ونظرت بعينين شبه مغمضتين باتجاه الشمس. بدا إدي طويل القامة وهو يضع يديه في جيبيه، وقد أمال رأسه قليلاً وراح ينظر نحوها. نظرت ماريا إليه بحذر، وهي تتمنى لو أنها ليست مكشرة. بدا إدي ظريفاً لكنه كبير السن بالنسبة إليها، وحين تبلغ سنه هذه سيكون قد أصبح في الرابعة والعشرين من عمره. أي عجوز!

لن تتمكن أبداً من التسكع برفقته. إنه أمرٌ مؤسف، فقد كان ليصبح حبيباً مناسباً.

www.elromancia.com

- آه... مرحباً!

- والدك ووالدتك يبحثان عنك.

أخفضت ماريا بصرها نزولاً، وفركت يديها بالعشب لتنظفهما. لم تحضر ساعتها معها لذا فقدت إحساسها بالوقت، والآن ذكرتها معدتها الجائعة بأنها تريد شيئاً لتأكله. لكن من جهة أخرى فإن تناول الطعام قبل الرحلة المائية قد لا يكون فكرة جيدة. ما هو الأفضل، أن تأكل وتحصل على القليل من الطاقة، أم تبقى جائعة كي لا تحرج نفسها بالتقيؤ خلال الرحلة؟

وقفت ونظرت نحو النهر مرة أخرى. إنها مياه عنيفة، عميقة وداكنة. عاد الخوف ليملأ صدرها، فابتلعت ريقها واستدارت لتلحق بإدي عائدة إلى المزرعة.

أخذ الخوف يسيطر عليها، لكن لم يكن أمامها خيارٌ آخر. عليها القيام بذلك. عليها الصعود إلى الزورق السخيف لتتمرن على القيام بمغامرة.

ما خطبها؟ من المفترض أن يكون الأمر ممتعاً. الجميع يظن أنه أمرٌ ممتع.

سارا بسكون لدقائق طويلة قبل أن تلاحظ أن إدي يحدق بها. أدارت وجهها بعيداً كي لا يلمح الدمعتين اللتين انحدرتا من عينيها، ثم أبطأت خطواتها وهي تأمل أن تسير خلفه، لكنه أبطأ خطواته أيضاً. وقف مكانه وشبك ذراعيه فوق صدره، وحدق بها قائلاً: «ما المشكلة؟».

- لا شيء... لا شيء!

حرك إدي قدميه لينقل توازنه من قدم إلى الأخرى. كانت ماريا تنظر إلى الأسفل ولا ترى سوى حذاءه، إلا أنها أدركت أنه لا يشعر بالارتياح.

- تباً! أنت تبكين. هل عليّ أن أركض لمناداة والدتك؟

مسحت ماريا دموعها بظاهر يدها، ثم هزت رأسها بقوة وقالت: «لا! لا تخبرها أنني أبكي. لا يمكنك ذلك».

- تباً! هل أنت واقعة في مشكلة ما؟

- لا... أنا بخير. ليس هناك مشكلة.

- لا مشكلة؟

بدا كأنه يشك في ذلك، ثم خطر في باله أمرٌ فقال: «آه! أنت تبكين من أجل شاب».

- لا!

- حسناً! لا داعي للغضب. أنا لا أهاجمك، لكن هذا ما تفعله الفتيات في مثل سنك.

- أنا لست أبكي. حقاً... إنه مجرد رشح بسيط.

ابتسم إدي باستهزاء، ثم قال: «حسناً! توقفي عن الشعور بالرشح أيتها الطفلة».

- لا تنادني طفلة!

- لكنك طفلة. انظري إلى نفسك، أنت تبكين كالأطفال.

- آه! اصمت.

نظر إدي نحوها، وعلق بسخرية: «أنا أراهن أنها مشكلة تتعلق بشاب».

- لا! ليس الأمر كذلك. إنه ذلك النهر السخيف البشع.

ألقى إدي نظرة سريعة نحو النهر، ثم سألها: «عمّ تتكلمين؟».

اعترفت ماريا قائلة: «أنا خائفة».

الاعتراف بمشاعر الخوف أراحها، ما جعل بقية القصة تخرج من تلقاء نفسها.

- أنا أكره المغامرات... جميع أنواع المغامرات. أنا حتى أكره المزلجة ذات العجلات. أنا لا أحب الشعور بالخوف كما تحبون أنتم، وأنا حقاً خائفة من النهر. أنا أكره الإبحار في المياه... أشعر أنني لا أستطيع التنفس... أنا جبانة.

انحنت نحو العشب وأخذت القليل منه في يدها. لقد قالتها أخيراً! أصبح هناك من يعرف سرها العميق الآن.

قال إدي وهو يبدو متعباً: «إنه ليس أمراً خطيراً، وأنت تعرفين ذلك. ما كان والداك ليضعاك في هذا الموقف لو أنك ستتعرضين للخطر».

- أنا أعلم ذلك.

- وتعلمين أننا جميعنا سنقفز خلفك لو شعرنا أنك في خطر.

- أعلم ذلك أيضاً، لكنني مع ذلك أشعر بالخوف ولا أستطيع التنفس.

أغرق إدي يده في العشب، وسحب نتفة منه أخذ يحركها بين أصابعه كما تفعل هي تماماً.

- حسناً! إن كنت فعلاً لا تريدين القيام بذلك، أخبري والديك أنك خائفة. لن يقوما بإجبارك.

كاد قلب ماريا يتوقف لمجرد فكرة أنهما سيكتشفان الأمر.

- لا! لن أخبرهما. لن أخبرهما أبداً. وأنت لا يمكنك إخبارهما بالأمر أيضاً. إدي... عدني أنك لن تفعل.

- ما الذي ستفعلينه إذاً؟

- لا شيء

عضت شفتها وأخذت تلعب بالعشب من جديد. ليس بإمكانها فعل شيء. ليس أمامها أي مخرج. تمتم إدي قائلاً: «طفلة!».

شعرت ماريا أنه لا يحق له قول ذلك، فهو أيضاً كان طفلاً في يوم من الأيام.

تابع يقول: «حسناً! في هذه الحالة علينا العودة بسرعة قبل أن يشعر الجميع بالقلق».

* * *

بعد ساعتين وصل الجميع إلى منطقة الانطلاق. حمل والدا ماريا وإدي الزوارق إلى النهر، أما هي فحملت المجاذيف. بينما اقتربوا من النهر أصبحت قدماها أكثر ثقلاً. شعرت بضغط كبير في حنجرتها، وبدأت دقات قلبها تتسارع بالرغم من أنها أخذت تؤنب نفسها لأنها

جبانة.

قال والدها وهو ينظر نحو النهر المجنون ويبتسم: «المياه مرتفعة. ممتاز! ستكون رحلة رائعة».

وضعت ماريا المجاذيف على الأرض، وشغلت نفسها بربط شريط حذائها. ها قد بدأت ترتجف. أنبت نفسها قائلة: «توقفي! ستكونين بخير. إنه أمر ممتع».

سمعوا شتيمة من بعيد جعلتهم يتوقفون للحظة. التفتت ماريا لتتجد إدي يتكئ على صخرة، وهو يشتم بينما يفرك قدمه بقدمه الثانية.

سألته والدة ماريا: «هل أنت بخير؟».

أجاب وهو يكشر: «أظن أنني لويت كاحلي. تباً! أظن أن قدمي بدأت تتورم».

قال والد ماريا: «كيف بحق السماء لويت كاحلك في هذا المكان؟ أنت تتسلق الجبال من دون مشكلة، فلماذا التوى كاحلك في هذا الممر البسيط؟».

كشر إدي من الألم، لكنه تمكن من إظهار ابتسامة مخادعة: «نعم... حسناً! أنا أبذل قصارى جهدي».

قالت والدة ماريا: «دعني ألقي نظرة».

لكنه أبعدها عنه فوراً.

- لا حاجة لذلك كارا. أنا بخير... إنها أمور تحصل. أنا أعرف الدواء... علي العودة إلى المزرعة ولفها بالثلج. اذهبوا من دوني.

- هل بإمكانك أن تقود السيارة؟

- بالطبع، أحتاج إلى قدم واحدة كي أقود.

لكنه التفت نحو ماريا وتابع قائلاً: «لكنني قد أحتاج إلى بعض المساعدة...».

شعرت ماريا بالارتياح لأنها وجدت مهرباً لنفسها: «سأبقى برفقتك إدي، لا مشكلة».

www.elromancia.com

قالت والدتها بنبرة ملؤها الشك: «لا أعلم... ليس من العدل أن تفوتي الرحلة ماريا. سأبقى أنا مع إدي».

- لا! أنت بحاجة إلى القيام بهذه الرحلة. إنها على لائحة المغامرات التي خططنا لها للسنة المقبلة. هيا، اذهبي! أنا سأعتني بإدي.

رأت والداها يتبادلان الابتسامات لفكرة أن فتاة في الرابعة عشرة من عمرها تريد الاعتناء بشاب في التاسعة عشرة من عمره، لكنهما في النهاية وافقا على الأمر. أعادا الزورقين الإضافيين إلى الشاحنة، ومالبثا أن ودعاهما. مشى إدي وماريا نحو الشاحنة وإدي يتكئ على كتفها.

بعد مضي دقائق قليلة أصبحا بعيدين عن أنظار والديها. ترك إدي كتف ماريا وبدأ يسير أمامها. أخذت ماريا تحدق به، وتسير خلفه وهي لا تفهم ما يجري.

- إدي... كاحلك؟!

التفت نحوها وقال ساخراً: «أنت أيضاً صدقت الأمر؟».

لم تفهم ماريا قصده، فسألته: «ماذا تعني؟».

- هل صدقت تمثيلي؟

بدا كأن دماغها يعمل ببطء، فقالت: «كاحلك... ألا يشكو من شيء؟».

حرك إدي عينيه بينما فتح باب الشاحنة وقال: «لا! إنه بخير».

- لكنك... لكنك تحب التجذيف، وتحب الأنهار المجنونة. أنت لا تخاف منها. آه! هل ادعيت أن كاحلك مصاب كي لا أضطر إلى الذهاب معكم؟

إنه أمر لا يصدق! لماذا يقوم بأمر مماثل من أجلها؟

- هيا! اصعدي ماريا. دعينا نذهب إلى المزرعة، وهناك ستلعبين بأقلام التلوين.

صححت له بثقة وهي تصعد إلى الشاحنة: «إنها أقلام فحم وليست أقلام تلوين. أقلام التلوين للأطفال».

تأملها إدي عبر النافذة المفتوحة، وقال: «وأنت، ألست طفلة؟».

شعرت ماريا بالانزعاج، وبقيت تنظر خارج النافذة بعد أن صعد إدي إلى الشاحنة ليقود. لقد كبر إدي بسرعة. لطالما لعبا سوياً من قبل بالرغم من أنها أصغر منه سناً، لكنه ذهب السنة الماضية إلى الجامعة، وحين عاد كان قد دخل عالم الكبار بالكامل. في الواقع، لقد اشتاقت ماريا لإدي القديم. وصلا إلى المزرعة، وما إن دخلا حتى جلسا بصمت لفترة. جلس إدي على الأريكة وراح يحدق نحو السقف، أما ماريا فجلست إلى الطاولة مع معداتها الفنية.

تمتم إدي لاحقاً: «لا داعي لأن تشكريني».

قالت مجبرة نفسها على الكلام: «شكراً».

- في النهاية سيكون عليك أن تخبريهما بالأمر، فهما يظنان أنك تحبين هذه الأمور. حتى أنا، لطالما اعتقدت أنك تفعلين. أنت ماهرة في التظاهر بذلك. سيظلان يقحمانك في هذه الأمور حتى تضعين أنت حداً لها بنفسك.

- أنا أتدبر أمري في معظم الأحيان.

- لِمَ تتظاهرين بذلك؟

- لأنني أريد أن أصبح مغامرة...

أرادت أن تقول «مثلك». لكنها تابعت: «مثل أمي وأبي. سأنجح... سأتخطى ذلك، لكنني فقط أحتاج إلى اكتشاف روح المغامرة في داخلي».

ابتسم إدي بسخرية ما جعلها تبدو طفلة سخيفة، وقال: «تريدين اكتشاف روح المغامرة في داخلك؟ ها... ها...».

- نعم.

- هل قرأت ذلك في كتابٍ ما؟

- لا! أنا اخترعته.

ضحك بصوت خافت ثم سحب هاتفه النقال من جيبه: «حسناً يا صغيرة! اذهبي للعب الآن. اذهبي لاكتشاف روح المغامرة في داخلك.

أحتاج إلى التكلم مع حبيبتي، ونحن نحب الخصوصية».

خرجت ماريا غاضبة وحاقدة على العالم كله ولاسيما على إدي. حسناً! لابد أن حبيبته تتحلى بروح المغامرة أيضاً.

١ - مغامر و... طفلة

إنه هنا... الصهر الذي تحلم والدتها به... هو لم يلاحظ وجودها بعد. توقفت ماريا في الردهة وهي تنظر نحوه، بينما جلس إدي على الأريكة في غرفة الجلوس.

مرّت فترة طويلة لم تره فيها. لقد جاب العالم كله بينما كانت هي تعيش حياةً رتيبة هادئة على بعد مبانٍ قليلة من منزل الطفولة. جذف عبر الأنهار الجليدية، وهبط بالطائرات الشراعية فوق الجبال، بينما قامت هي تدريجياً بالتملص من مغامرات والديها واستقرت في حياة هادئة ساكنة، لتأخذ دروساً في الفن وتمضي سهراتها في قراءة كتابٍ جيد أو بمشاهدة الأفلام وبجانبها قطة أو قطتين.

والآن رجع إدي...

كان يجلس بمفرده في غرفة الجلوس، ما يعني أن والدتها استأذنت منه لتلملم آثار كارثة ما سببها والدها في المطبخ. رأته ماريا بصورة جانبية لأنه يجلس ووجهه نحو المدفأة. بدا بصحة جيدة، وهو لم يتغير كثيراً. إنه أكبر سناً فقط، لكن شعره لايزال كثيفاً داكناً وطويلاً بما يكفي ليصل حتى كتفيه. لطالما كان شعره كذلك. من فترة لأخرى يقوم إدي بقص شعره، لكنه لا يشغل نفسه بهذه المسألة لأشهر لاحقة. في الواقع، لا تحب ماريا الشعر الطويل للرجال، ولطالما فكرت أنه يجعلهم يشبهون النساء، كما أنهم يبدون مدّعين ومخنثين. باستثناء إدي، فهو يبدو وسيماً مهما فعل. على أي حال، ليس للأمر أهمية لديها. عليها النظر إليه كأخ لها ولا شيء أكثر، لكن ذلك لم يكن سهلاً، لاسيما منذ أن بدأت هرموناتها تتغير

www.elromancia.com

وتخدعها. قررت لعب دور الأخت الصغيرة، فتسللت من خلفه إلى الغرفة قاصدة إغماض عينيه بيديها بشكل طفولي. لكن قبل أن تتمكن من ذلك قام إدي بالالتفات نحوها فأمسك بيدها ورماها إلى الخلف. شعرت ماريا أنها تطير في الهواء قبل أن تحط على ظهرها فوق الأريكة ورأسها ملقى فوق يده.

- مرحباً إدي! لم أرك منذ مدة طويلة. أهلاً بك في المنزل.

- مرحباً ماريا! هل ظننت أنك تستطيعين التسلل نحوي خفية؟

بدا صوته كما تذكره تماماً: خشناً ومخملياً. يالهي! إنه بالغ الجاذبية. آه... تباً! هذا كثير على شاب تعتبره كأخ لها.

أحست ببعض المعاناة قبل أن تتمكن من الجلوس، لكن يده كانت عند خصرها ما ساعدها قليلاً. كشرت في وجهه، وقالت: «حسناً! أردت المحاولة. لطالما تفاخرت بردة فعلك السريعة...».

- آه! إذاً، هل أردت التأكد من أنني لم أصبح عجوزاً، ولم أفقد قدراتي بعد؟

بدت عيناه داكنتين. هاتان العينان تبدوان بنيتي اللون عن بعد، لكن إذا حدّقت فيهما جيداً بإمكانك رؤية لونهما الأزرق الداكن.

- لا يدخل السن في حساباتي. أظنك تقف الآن عند رأس التلة، والطريق لاتزال طويلة للوصول إلى الهاوية.

ظهرت ابتسامة على وجه إدي، وقال: «أنت تنحدرين نزولاً معي أيضاً».

- عيد ميلاد سعيد إدي!

- عيد ميلاد سعيد ماريا!

إنهما يتشاركان عيد الميلاد نفسه بفارق خمس سنوات. ظل أهلهما يحتفلان بعيد ميلادهما معاً لعدة سنوات، إلى أن أصبح إدي بالطبع كبيراً على مشاركة عيد ميلاده مع فتاة صغيرة. في الواقع، شعرت تلك الفتاة بالحزن حين قامت بالاحتفال بعيد ميلادها للمرة الأولى بمفردها.

دفعت ماريا يده بعيداً، وقالت: «يجب أن تدعني أذهب. أمي وأبي

لازالا يحلمان برؤيتنا نتزوج ونعيش بسعادة. هل تعلم ذلك؟ لذا ليس من الجيد تعزيز أحلامهما».

ابتسم إدي، ومرر يده في خصلة من شعرها. لم يبدُ في عجلة من أمره. حسناً! بإمكانها الهرب لو أرادت ذلك، لكنها تشعر بالراحة حيث هي.

مرر يده مجدداً برفقٍ بين خصلات شعرها، وقال: «لطالما أحببت العيش في خطر».

- أعلم ذلك، لكنني لا أحب المخاطرة. أتذكر؟

- ألم تجدي روح المغامرة لديك بعد، يا صغيرة؟

صغيرة... تباً! لم تعد في الثانية عشرة من عمرها الآن. أليس بإمكانه رؤية هذا؟

- لم أعد صغيرة الآن. وقد توقفت عن البحث عن روح المغامرة.

رفع إدي حاجبه باهتمام: «أحقاً؟».

- نعم.

- هل تخطيت هذا الأمر؟

- نعم.

- إنها شجاعة منك.

- الحكمة تأتي مع النضوج. آ...خ! توقف عن الشد بشعري.

- عفواً، إنني أبحث عن الشعر الأبيض فقط.

أخذ إدي يمازحها، فظهرت خطوط الضحك على وجهه، وبدت ابتسامته التي لا تقاوم. إنها حقاً في ورطة! لِمَ لم يبق بعيداً لبضع سنوات أخرى؟

- ألديك شعرة بيضاء؟

- نعم. كانت هناك في الصباح. أردت أن أقتلعها، لكن أمي لديها بعض المعتقدات السخيفة، فهي تظن أن سبع شعرات بيضاء ستنبت مكانها إذا ما اقتلعت. لذا قررت أن أتركها تعيش.

اهتز صدر إدي وهو يضحك. وبما أنه كان يشدها إلى صدره لم تستطع

Donelromance.com

إلّا أن تلاحظ ذلك. تابع تمرير يده في شعرها كأنه يبحث عن المزيد من الشعر الأبيض.

– بإمكانك صبغها بقلم سحري، أنا واثق أنهم صنعوا واحداً بلون شعرك.

– لا! سأتركها تعيش وأغدو عجوزاً جميلة.

– إنه عيد مولدك يا صغيرة سواء كان لديك شعر أبيض أم لا، فلِمَ لست في الخارج تحتفلين مع صديقٍ ما؟

أصبح عليها أن تستقيم في جلستها الآن.

– وأنت، لمَ لست خارجاً في موعد كالذي تصفه لي؟

– سأفعل ذلك. أخبرتني أمك أنني سأتناول العشاء مع أجمل فتاة في العالم.

آه... يالهي! فكرت ماريا.

– ألم تخبرك أن تلك الفتاة متزوجة؟

فتح إدي عينيه مصدوماً وقال: «هل تزوجت؟».

ضحكت ماريا في سرها، بينما استغلت الفرصة لتفلت من يده وتجلس مستقيمة. انتقلت للجلوس على الأريكة المقابلة، وقالت ساخرة: «لا، أنا لم أفعل لكن أمي متزوجة. أليست هي من دعتك إلى العشاء؟».

حملق إدي بها، وقال: «يحق لك أن تسخري مني. لقد جعلتني أقلق لبضع دقائق».

– آه، إدي! لا داعي لذلك. تعلم أنك أفسدت عليّ علاقتي مع الرجال الآخرين. لم يقم أحد غيرك بحملي فوق كتفه نزولاً عبر الجبل بعد مغيب الشمس، حتى كدت تفقد وعيك من التعب.

غمزها إدي، فنظرت ماريا بعيداً وابتسمت لنفسها. يجدر بهما أن يتحدثا بأحاديث الراشدين. عليهما التوقف عن مغازلة بعضهما. ليس لأن لديها اعتراضاً على المغازلة، لكن ليس مع إدي، فهو يجعلها ترتعد من داخلها.

ما كان يجب عليها أن تتسلل إلى الغرفة لمحاولة المزاح معه. بدا ذلك الآن تصرفاً غبياً. علا الاحمرار وجهها، وتوقفت عن التنفس تقريباً.

هذا ليس جيداً... ليس جيداً مطلقاً. عليها التصرف بنضوج.

– لم أرك منذ فترة طويلة. أين كنت؟ وماذا كنت تفعل؟

مد إدي ذراعه فوق ظهر الأريكة وهز كتفيه، ثم أبعد شعره عن وجهه وقال: «كنت هنا وهناك. وفي معظم الأوقات كنت هناك».

قالت بجفاف: «أتخيل ذلك. متى عدت؟ هل أنت في المدينة منذ فترة طويلة؟».

– منذ أسبوع تقريباً.

ابتسمت ماريا باستهزاء، وقالت: «إنها فترة طويلة بالنسبة لك».

– هذه المرة سأبقى لمدة أطول. ابن أختي يحتاج إلي. إنه ابني بالمعمودية، أتذكرين؟

هزت ماريا رأسها باستغراب. في السنة الماضية، تم تشخيص مرض نفسي حاد لدى ابن جيني الجميل الصغير. إنه صبي مميز لا يحتاج إلى النوم كثيراً، وهو دائم الحركة على مدار الساعة، إلا أن التعامل معه يصبح أكثر صعوبة مع مرور النهار. بدأت جيني ببرنامج علاج سلوكي في المنزل، وهو بحاجة إلى الكثير من الوقت والمجهود. إنها تعقد آمالاً كبيرة على نجاح هذا البرنامج، لكنه سيتطلب الكثير من العمل. يحتاج ساموبل وجيني إلى المساعدة بالتأكيد، لكن أن يستقر إدي ويتصرف كخالٍ حقيقي فهذا أمر لا يصدق.

قالت ماريا: «لم أرَ جيني منذ زمنٍ بعيد. نحن نتكلم عبر الهاتف لكنني فقدت التواصل معها منذ أن تزوجت، وذلك مؤسف. عليّ الاتصال بها هذا الأسبوع».

– اتصلي بها الأسبوع المقبل. إنها خارج المدينة الآن، تحضر ورشة عملٍ مع ساموبل كي يتحضرا للبرنامج العلاجي الجديد.

– حسناً! سأتصل بها الأسبوع المقبل. هل ستبقى طوال الصيف هنا؟

هز إدي كتفيه، وقال: «سأبقى لفترة. وظفني والداك الآن في شركة «المغامرون الشجعان». نحن نتفاهم للوصول إلى اتفاقٍ ما».

اتفاق؟! أي نوع من الاتفاقات؟ لكن قبل أن تسأل، قام إدي بتغيير الموضوع.

- كفى كلاماً عني. دعينا نتكلم عنك. كيف تسير حياتك؟

- جيدة... بل عظيمة! أنا أفضل الحياة من دون روح المغامرة. حياة هادئة جميلة.

- أخبرني، كيف حال والديك. لم أرهما منذ أعوام.

لطالما أمضى والداها ووالداه الإجازات معاً وهم يقومون بأشياء مثيرة ومرعبة. كانت ماريا تكره هذه الإجازات والنشاطات التي تتضمنها، بدءاً من التزلج وصولاً إلى القفز المائي. لاحقاً، حين أصبحت لديها الشجاعة لتخبر والديها بمشاعرها الحقيقية تجاه المغامرات أصبحا يسمحان لها بالتسكع في الفندق، وعندها أصبحت الحياة جميلة فعلاً. أخيراً لم تعد تخاف من الإجازات. بإمكانها الجلوس على كرسي والتمتع بقراءة كتاب وهي تشرب فنجاناً من الشوكولا الساخنة، أو رسم المناظر المجاورة، أو الخروج لصنع رجل ثلج في الخارج، أو حتى الذهاب في نزهة والتفكير بهدوء. إنها تحب إبقاء الحماس في قلبها. هكذا هي طبيعتها، ولم تعد تعتذر بسبب ذلك.

أما إدي من جهة أخرى، فكان يستمتع بكل لحظة من المغامرات. اعتاد أن يشارك في كل الرحلات، وأصبحت ماريا تنزعج أكثر فأكثر من الطريقة التي ينظر بها والداها إليها ثم ينظران نحوه. ولطالما تساءلت لما لا تستطيع أن تكون مثل إدي.

لم تنتبه ماريا إلى أنها بدأت تعبس. لطالما بدا إدي مثالياً... إنه الابن المثالي، لكنه ليس ابنهما. إنه ابن الجيران. لطالما بدا شجاعاً ومحباً للمنافسة، فهو يضحك من المخاطر بينما تحبس هي دموعها. كان إدي يصعد الجبال وهو يغني، بينما تصعد ماريا وهي تتصبب عرقاً وتتمنى لو

أنها ولدت لوالدين يحبان مشاهدة التلفزيون بدلاً من المغامرة.

أخذتها ذكرياتها فوق المزلجة ذات العجلات إلى التفكير بإدي. حين كانت صغيرة كانت تعشق إدي حين يكونان في المنزل، والأمور حولهما هادئة. أما في إجازات الصيف فكانت تكرهه لأنه الولد الذي يحلم والداها بأن يكون لهما. أظهرت ردة فعلٍ قوية تجاهه حين كانت مراهقة، حتى انتهى بها المطاف وهي في الثامنة عشرة من عمرها مع حادثة مهلكة.

بعد تلك الحادثة لم تره كثيراً، فقد ابتعد ليقوم بالمغامرات حول العالم. ظل والداها يتلقيان منه بطاقات بريدية بشكل مستمر، وفي كل بطاقة كانت هناك ملاحظة بأن يرسلا تحياته إلى ماريا.

كان إدي يقول: «أمي وأبي بخير. هما لايزالان في مصر، ولا يتكلمان عن العودة في وقت قريب».

ثم وضع يده فوق كتفها، وقال: «لكن، ألم نكن نتحدث عنك؟».

جعدت ماريا أنفها، وقالت: «أنا مملة إدي. ألا تذكر ذلك؟ ليس هناك أي شيء مثير للاهتمام في حياتي».

بدا إدي لطيفاً لأنه ضحك لكلامها كما لوأنها تمزح ولا تتكلم عن حالة واقعية. قال: «أخبرتني أمك أنك تعملين فنانة وكاتبة الآن».

أرادت ماريا أن تعبر عن غضبها وسخطها. بإمكانها أن تتخيل ما قالته والدتها، لكن إدي بالتأكيد قام بإضافة بعض التعديلات على كلامها. التفتت نحو المطبخ حيث سمعت أصواتاً قادمة من هناك، وقالت: «هل قالت لك ذلك فعلاً؟ هل قالت إنني أعمل؟».

ضحك إدي، وقال: «ليس بالضبط. ربما صاغت الجملة بشكلٍ مختلف».

- هذا ما اعتقدته. حسناً! إنها وظيفة. ليست مربحة بما يكفي الآن، لكنني سأصل إلى هناك يوماً ما. أما حالياً فأنا أعمل في مكتبة بدوامٍ كامل، وبإمكانك اعتبار ذلك نوعاً من القيام بالأبحاث.

- أنت تؤلفين قصصاً للأطفال. أليس كذلك؟

– نعم. بدأت بتصميم الرسومات لكتّاب آخرين، أما الآن فأنا أعمل على كتابة القصص أيضاً. إنه تحدّ بالنسبة لي.

– يبدو أمراً مسلياً.

– حسناً! إنه ليس كالقفز من الطائرة أو تسلق جبال إفرست، لكنه بالنسبة لي أمرٌ مثير ويعطيني شعوراً بالاكتفاء.

إنها تتكلم بشكل دفاعي. لماذا؟ ليس هناك ما تدافع عنه. لا عيب في أن تستمتع بحياة جميلة هادئة و... مملة. إنها تريد الملل وتتلهف للملل. لطالما تلهفت ماريا للحياة الرتيبة منذ طفولتها، لكنها ظلت محرومة منها لمدة طويلة. والآن لا داعي مطلقاً لأن تقدّم التبريرات عن الطريقة التي اختارت أن تعيش بها حياتها.

لكن جزءاً منها يريد موافقة إدي. لطالما أرادت ذلك. فلطالما كان كسب احترامه أمراً صعباً. الفتيات الصغيرات يعانين على الدوام من صعوبة في لفت نظر الشبان الكبار. رأي إدي مهم بالنسب إليها أكثر من رأي والديها. لقد صارعت طويلاً وهي تدعي أنها مغامرة شجاعة ولم تكتشف معاناتها إلا منذ زمن قريب، لكن هذا أصبح من الماضي الآن.

– ما الذي تعملين عليه هذه الأيام؟

أرجعت ماريا شعرها عن وجهها إلى الوراء، ونظرت باتجاه المطبخ. على الأرجح أنه يجدر بها الذهاب لتتأكد إن كان والداها قد تاها داخل الثلاجة. إنها يعرفان كيف يطهوان لكن لم تكن لديهما الخبرة الكافية لإعداد الطعام داخل الأماكن المغلقة، أو لتنظيف المعدات والمكان بعد الانتهاء من الطهو.

– هل أنت حقاً مهتم لمعرفة ما أعمل عليه؟

– بالطبع، أنا مهتم.

استرخت ماريا محاولة التوقف عن اتخاذ موقف دفاعي.

– حسناً! إنها قصة خرافية. هناك الأبطال والتنانين والوحوش و... هذه الأشياء.

– آه! تقصدين المغامرات.

قطبت حاجبيها في البداية، ثم ابتسمت وقالت: «نعم. أعتقد أنها مغامرات على الورق... هذا مشوق بما يكفي بالنسبة لي».

– حسناً! لقد اكتشفت روح المغامرة لديك في النهاية.

حدّقت به وهي غير واثقة أنه لا يسخر من الأمر. نعم، إنه تفسير صحيح للأمور. إنها تحب أن تعيش المغامرات في ذهنها. ما دام ذلك لا يستدعي وجود الارتفاعات الحقيقية والعناكب والتنانين الحية التي تخرج النار من فمها.

لقد وصل إدي إلى بيت القصيد، حيث لم يقم أحدٌ من قبله بربط الأمور ببعضها... حتى هي. كيف تراه يفعل ذلك؟ لطالما شعرت أنه يغزو أفكارها الخاصة ومشاعرها.

سألها إدي متجاهلاً اضطرابها الداخلي: «وكيف يسير الكتاب معك؟».

رمشت بعينيها وهي تعود إلى الحياة الواقعية.

– جيد، ليس سيئاً... حسناً! إنه سيء، لكنني أعتقد أنني سأنجح في النهاية. هذا ما يحدث دائماً. الفكرة مكتملة في رأسي باستثناء النهاية الأخيرة ومسألة صغيرة أخرى.

تنهدت وتابعت: «حسناً! بل مسألة كبيرة في الواقع».

– ما هي المشكلة؟

– البطل. لا أستطيع تنفيذه بشكل واضح على الورق.

نظرت نحو إدي وعبست محاولة تخيل صورة ماريوس من جديد. رفع إدي حاجباً بتساؤل فبدا وجهه مكان وجه ماريوس في مخيلتها.

– نعم!

حركت ماريا أصابعها ثم نظرت حولها لتجد قلماً وورقة.

– هذا هو!

وقفت بسرعة وأخذت تفتش وكأنها ستجد دفتراً للرسم في غرفة

الجلوس عند والديها. ربتت على ظهر الأريكة وهي تقول: «آه، تباً! لِمَ لم أحضر معي دفتر الرسم؟ لمَ لا أجده معي حين أحتاجه؟».

ضحك إدي وقال: «أهكذا تظهر لحظة الإلهام؟».

راح قلبها في الواقع يدق بشكل سريع جداً وهي تحاول تجسيد ماريوس على الورق. أليس لديها ورقة لترسم عليها في جيبها؟

– آه، نعم. هل بإمكانك...؟

دخل والداها إلى الغرفة وهما يتكلمان بصوت مرتفع. أصبح من المستحيل طلب أي شيء من إدي الآن.

وعدت ماريا نفسها أن تفعل ذلك لاحقاً، حتى لو كان عليها أن تجبره على فعل ذلك بعد العشاء وأن ترسم على منديل ورقي ولو بقلم الحبر. إنها يائسة للحصول على ذلك الالهام.

– ماريا!

اقتربت أمها لتعانقها، وتابعت: «عيد ميلادٍ سعيد. أليس إدي مفاجأة عيد ميلادٍ مميزة؟».

تمتمت قائلة: «نعم. من الجيد رؤيته».

تمنت ماريا ألا تكون وجنتاها قد احمرتا.

– لم تحتفلا بعيد ميلادكما معاً منذ فترة طويلة. أتذكرين ماريا حين أخطأنا بتوزيع الهدايا فحصل هو على لعبة الباربي وأنت على الرجل المقاتل؟

أجاب إدي وهو يبتسم: «حسناً! أنا لم أنسَ ذلك مطلقاً. كانت تلك تجربة جارحة. بعض أصدقائي لايزالون يهددونني بالتكلم عن تلك الحادثة كي يرغموني على القيام بشيء ما».

هزت ماريا رأسها، وقالت: «باربي المسكينة كانت قد تعرت تماماً حين أعادوها لي. كان علي أن أبحث بين علب الهدايا كي أجد ثيابها».

قالت والدتها: «نعم، هكذا هم الصبية».

ضحك والدها، وقال: «أتذكرين ما الذي كانت تقوله لك ماريا بعد أن يقوم إدي بأحد الأعمال الطائشة؟».

حاول والدها تقليد صوت فتاة صغيرة وهو يتابع: «حسناً! الصبيان سيئون أساساً».

ابتسمت ماريا بعدما رأت الفخر في عيني والدها وهو يربت على ظهر إدي. هي تعرف أن والدها يحب إدي كثيراً. ومع أنها لم تشك يوماً بحب والديها لها، لكنهما لم يكونا يوماً مقربين منها، لاسيما بعد أن توقفت ماريا عن المشاركة في مغامراتهما.

مدّت صديقة مألوفة برأسها نحوها... إنها الغيرة! لكن ماريا تخلصت منها أخيراً. بإمكان والداها أن يحبا إدي، فهذا لن يضرها في شيء. كما أن حرمانه من حبهما هو تصرف طفولي يدل على عدم النضج. لطالما كان إدي صورة عن الابن الذي لم يحصلا عليه... وقد كبر وهو يسير على خطاهما. لاشك أنهما فخوران به، لكنها تتمنى لو أنهما يشعران بالفخر بها أيضاً. نظرت نحو الرفوف التي تضم قصصاً ورسومات، وعضت شفتها بسبب الشفقة على نفسها. إنهما فخوران بها لكن ذلك ليس واضحاً بوضوح فخرهما بإدي. إنه يعمل في مجالهما وينفذ ما علماه إياه عبر السنوات.

شعرت بنظرات إدي تخترق أفكارها، وانكسر الإلهام الذي استوحته بالنظر إليه. كان يبتسم وهو يقول: «الصبيان سيئون؟ أتمنى أن تكوني قد غيرت رأيك الآن».

– عن الصبيان بشكل عام أم عن الصبيان الذين يقومون بإخافة الفتيات الصغيرات؟

طردت فكرة طفولية أخرى طرأت على بالها، لكنها كانت قد تكلمت. من الأفضل أن يكون نادماً لأنها لا تخترع ذلك.

– هـمم! أمازلت تذكرين ذلك العنكبوت، وتحمليني المسؤولية؟

– نعم. يتطلب الأمر سنوات من العلاج وأنا لم أتعالج من الصدمة، لذا سأعيش حياتي خائفة وأنت السبب.

رمشت عينا إدي ببراءة: «كان موضوعاً في علبة زجاجية، ولا يمكنه أن يؤذيكِ. كان درساً في علم الطبيعة فقط».

قالت كارا: «تماماً كما في الماضي... من المؤسف أن والديك بعيدان، إدي. هل هما سعيدان في مصر؟».

- نعم. يبدو أنهما أحبا المكان، وأصبح والدي شديد الاهتمام بالمومياء وأسرار اكتشاف القبور القديمة. أما أمي فهي تستمتع بأشعة الشمس.

- هذا جيد لهما. تكلمت مع أختك على هاتفها النقال، لكنها خارج المدينة الآن مع ساموبل لحضور ورشة عمل لأيام قليلة. أليس كذلك؟

- نعم. حتى إنني لم أر جيني منذ عودتي، ولم أر ساموبل مذ كان طفلاً. أنا حقاً متشوق لرؤيتهما.

- لم نرها نحن أيضاً منذ وقت طويل. قالت لي إن الحصول على مربية جيدة لساموبل أصبح مستحيلاً، لذا فهي نادراً ما تترك المنزل هذه الأيام. هيا يا صغيراي! تفضلا إلى مائدة عيد مولدكما.

تكلم الوالدان وإدي عن الأعمال خلال العشاء، وبما أن ماريا لا تستطيع تقديم الكثير من المداخلات في الأحاديث عن التجذيف والطيران الشراعي شعرت بحرية للتفكير بشخصية ماريوس ومغامراته.

أخيراً، تبين لها أن شخصية إدي مناسبة تماماً لماريوس بطل قصتها. ها قد جمعت أفكارها وأصبح الأمر الآن مسألة وقت فقط. حدقت بإدي محاولة ألا تبدو نظراتها مثيرة للريبة. بالكاد تذوقت الطعام اللذيذ بينما مرت جميع فصول روايتها أمام عينيها.

انتبهت فجأة حين بدأ والدها بالتحدث عن مستقبل شركته «المغامرون الشجعان». والأشياء الجديدة التي قد يضيفها إدي إلى الشركة وعن التوسع و... ما إلى هنالك من أفكار لم تسمعها من قبل.

تخلصت من التفكير بماريوس ومغامراته، وحاولت التركيز معهم. إنها ليست مخطئة. من الواضح أنهما يفكران بأن إدي سيدير يوماً ما تلك الشركة. تأكدت ماريا من ذلك حين سمعت النصائح التي يقدمها والدها له، ثم لاحظت كيف تنقل والدتها نظراتها بينها وبين إدي وهي تبتسم.

أصبح ما يفكران به واضحاً ومحرجاً في الوقت نفسه. شعرت كأنها تود أن تغرق تحت الطاولة أو أن تسكب صلصة البندورة فوق رأسي والديها.

هما يريدان من إدي أن يدير الشركة بعد أن يتزوجا!

بدت تلك دعابة مضحكة عندما كانا صغيرين، لكن الفكرة تبخرت حين كبر إدي وأصبح يجد الدعابة حول عروسه «الطفلة» أمراً محرجاً ومزعجاً. لكن يبدو أن الفكرة رجعت من جديد.

بذلت ماريا أقصى جهدها لتحويل الحديث إلى مسارٍ آخر أكثر أماناً، وأخيراً نجحت في ذلك. ثم تمكنت من التكلم مع والدتها في المطبخ حين دخلت لإحضار التحلية: «أمي! هل فقدتما صوابكما أنت وأبي؟».

- ليس مؤخراً. لماذا تقولين ذلك؟ هل أصبحت فجأة تهتمين بعالم الأعمال؟

- تعلمين عما أتكلم أمي. ما الذي تظنان أنكما تفعلانه؟

بدت أمها بريئة جداً وهي تفتش عن بعض الأشياء في الثلاجة.

- ماذا؟ ما الذي نفعله؟

- إدي!

- ماذا عن إدي؟

- هيا! كل هذه الأحاديث عن مستقبل الشركة! أعلم أن هذا الأمر كان مضحكاً حين كنا طفلين، لكنه الآن يبدو... كأنكما تحاولان بيعي! أصبحت الزيجات المدبرة موضة قديمة، وأنت تعلمين ذلك.

هزت والدتها رأسها، وحدقت بها بدهشة: «الزيجات المدبرة؟ عمَّ تتكلمين بحق السماء؟».

- اسمعي أمي! من الأفضل أن تنسيا الأمر. لن يحصل شيء بيني وبين إدي، حتى لو كنت مغرمة به بجنون فأنا لا أريده، لأنه ليس مناسباً لي. أنا أريد حياةً مملة. أمضيت طفولتي كلها مع ثنائي مغامر، ولا أريد الحصول على مغامرٍ آخر ولو قدّم لي على طبق من فضة.

بالطبع هي لا تعني طبقاً فضياً بالفعل، فهذا أمر ينتمي إلى أزمنة

العبودية . . .

– انتظري! مغرمة . . . ؟ ما الذي قلته للتو؟ هل قلت إنك مغرمة بإدي بجنون؟

لطالما تميزت والدتها بسمع انتقائي. بدت سعيدة ومتفاجئة في الوقت نفسه. حركت ماريا عينيها وصرّت على أسنانها. ثم قالت: «لا، أمي أنا لست مغرمة بإدي. لن أقوم أبداً – ولو بعد مرور مليون عام – بالتورط مع شخص مثله. لذا انسي الأمر!».

– آه! لقد حطمت قلبي للتو يا صغيرة.

كان إدي ووالدها يقفان خلفهما وهما يحملان الصحون. لم تهتم ماريا لأنه سمع الحديث. في الواقع بدا ذلك أفضل، فهذا سينزع أي فكرة ربما خطرت بباله إثر الأحاديث المحرجة التي جرت خلال ذلك العشاء.

– لا تنادني صغيرة!

– اسمعيني عزيزتي . . . !

صرّت على أسنانها من جديد لأن والدها ناداها «عزيزتي». أزعجها ذلك أكثر من كلمة صغيرة، فمدت يدها وقاطعته، ثم وجهت الحديث إلى إدي قائلة: «اسمع إدي! أنا آسفة بشأن ما يفكر به والداي، لكن لا تقلق، أنا لست موافقة. أنا لا أريدك».

ابتسمت كي لا يبدو أن الأمر شخصي، ثم تابعت: «مع كل احترامي لك، لكن ربما أفكر بالموضوع فقط إن أصبحت آخر رجل على وجه الأرض. كما تعلم، سوف أفعل ذلك من أجل مستقبل البشرية».

وضع إدي الصحون من يده، وأمسك صدره مدّعياً الشعور بالألم. ثم قال ساخراً: «أهذه هي الحجة الوحيدة؟ أن تنقذي العرق البشري؟».

قال والدها وهو يعبس: «ماريا! أنت تتصرفين بسخافة، وقد فهمت الموضوع بشكل خاطىء. الأمر لا يتعلق بك. إدي سيشتري الشركة، وسوف نعقد الاتفاق النهائي الشهر المقبل».

٢ - دعوني أغامر!

حسناً!

شعرت ماريا أن وجهها يحترق وأن رئتيها بدأتا تؤلمانها لأنها نسيت أن تتنفس. لم تعد واثقة إن كان سبب ذلك الخجل أم الغضب. بالطبع، لن يفكر والداها ببيعها لإدي. يا لها من فكرة مخبولة! لكن . . . إدي سوف يشتري شركة «المغامرون الشجعان». هل سيقوم والداها ببيع الشركة حقاً؟

أخذت نفساً عميقاً وهي غير واثقة بأي مشكلة عليها أن تفكر أولاً: بأن والديها سيقومان ببيع شركة «المغامرون الشجعان»، أم بأن إدي سيشتري الشركة؟

من المفترض ألّا يشكل الموضوع برمته صدمة لها، إذ سبق لوالديها أن تكلما عن رغبتهما ببيع الشركة والتقاعد، لكن لطالما شعرت ماريا أن ذلك أمرٌ بعيد وأنه بالتأكيد أمر عليها ألا تقلق بشأنه. في النهاية ليس أمامهما الكثير من الخيارات، إذ ليس لديهما ابنٌ يهتم بإدارة الشركة بعدهما، وهي ليست بالطبع من النوع الذي يحب إدارة شركة مغامرات. لكن . . .

هذه هي الشركة التي أسسها جدها، وجعلها تنجح في وقت لم يكن الناس قد سمعوا بشركاتٍ مماثلة. إنها الشركة التي استلمها والداها وجعلاها تزدهر أكثر.

شعرت بشعر رقبتها يقف. هل سيقومان حقاً ببيع الشركة لإدي؟ هل سيتركانها للشاب الذي لطالما تمنيا لو أن لديهما ولداً ووريثاً مثله؟

حصل إدي منذ طفولته على حصة كبيرة من محبتهما واهتمامهما وعلى حصة الأسد من وقتهما. والآن سيقوم بأخذ شركتهما أيضاً.

شركة عائلتها!

نظرت ماريا نحوه ووجهها يتوهج غضباً، لكن إدي نظر نحو السقف بحذر. فحولت نظراتها نحو والديها وهي تنفخ متذمرة. قالت: «ماذا؟ قولا ذلك من جديد. هل ستبيعان الشركة لإدي؟».

تفاجأ والداها بالنبرة الحازمة التي ظهرت في صوتها. قالت والدتها: «كنت تعلمين أننا سنبيع الشركة يوماً ما. يجب ألا يشكل ذلك صدمة لك».

ضحكت، ثم تابعت: «أنت بالطبع لست مهتمة بإدارتها بنفسك».

بالطبع لا، فهي ليست كإدي. هي ليست قوية وشجاعة ومحبة لركوب المخاطر، لكن الشركة هي من حقها بالولادة، وليست من حق إدي... لم تكن يوماً من حقه.

أجابت ماريا: «لمَ لا؟ قد أقوم بإدارتها يوماً ما. ألا يجدر بي المحافظة على إرث العائلة؟ إنها شركة العائلة، وقد أسسها جدي. من الطبيعي أن أقوم أنا بإدارتها. إدي ليس فرداً من العائلة».

ربتت والدتها على كتفها، وقالت: «ماريا! لا تقلقي، نحن لم نتوقع منك أن تديري الشركة يوماً ما. نحن نعلم أنك لست مغامرة، وبالطبع لست من المغامرين الجسورين. الشركة ستكون بحال أفضل مع إدي. أنت لا تريدينها... لم ترغبي بها يوماً».

- ما الذي تتكلمين عنه؟ صحيحٌ أنني لا أحب المغامرة، لكن إدارة الشركة لن تحتاج إلى مغامر. إنه عمل مكتبي بمعظمه، وأنا بارعة في إدارة الأعمال.

- ماريا! أنا ووالدتك مغامران أو على الأقل كنا كذلك إلى أن بدأ منتصف العمر يهددنا بالتقدم بالسن، كما أن جدك كان مغامراً. إنها ليست مجرد شركة... إنها رؤية... وحلم.

- بالضبط! هذا ما أتكلم عنه. إنه حلم جدي... حلم عائلتنا. إن كنتما تريدان التقاعد أنا سأتولى الإدارة. لا شك أنني سأحتاج إلى مساعدة

في البداية، لكنني أعلم أنه يمكنني القيام بذلك.

أخذ والدها يهز رأسه، ثم قال: «لا، ماريا».

- ماذا تقصد؟

- هذه الشركة يجب أن يديرها مغامر.

سكت قليلاً، ثم نظر نحو زوجته ليحصل على القليل من الدعم. رأتها ماريا تشد على يده، لكن ذلك وحده لم يساعده، فتابع يقول: «إن لم يتم ذلك فستصبح الشركة بلا روح».

- بلا روح؟ بلا روح؟ وهل إدي هو الذي سيعطيها الروح؟

- نعم.

- ما الذي يستطيع إدي أن يعطيه للشركة ولا أستطيع إعطاءه أنا؟

فتح والداها عيونهما بتعجب، لكنها أكملت قبل أن يبدآ بالتكلم عن حسنات إدي قائلة: «بالطبع، بإمكانه أن يكون مرشداً جيداً، مشجعاً لرواد الغابات و... مغامراً حقيقياً، لكن لا علاقة لهذا بإدارة الشركة! لا يمكنكما إعطاءه شركة جدي بهذه البساطة».

- اسمعي، ماريا...!

جلست ماريا على الكرسي وشبكت يديها فوق صدرها وهي تنفخ الهواء من فمها غضباً. التعبير العاطفي القوي ونوبة غضبها لن تفيدانها، فالمغامر الحقيقي لا يرمي غضبه على الناس. لذا قالت: «أنا أسمع».

قال هارلان: «نحن نخطط لوضع برنامج للصيف المقبل. أنت تعرفين ما نفعله حين نضيف أمراً جديداً... نقوم بتجربته بأنفسنا».

نظر نحو زوجته التي غمرته بذراعها، ثم تابع: «لكن الطبيب منعنا من ذلك. قال إنه يمنع علي القيام برياضات عنيفة».

أطلق شتيمة، ثم أضاف: «...وهو مصرٌ على ذلك. حتى إنه ليس بإمكاني القيام برياضة هادئة ومريحة كالقفز الحر بالمظلة».

القفز بالمظلة أمرٌ هادئ ومريح؟!

فجأة عادت ماريا إلى الواقع... لقد تدخل الطبيب ومنعه من

الرياضة!

اختفى غضبها بسرعة. يالهي!

- أبي. . . !

حرّك والدها يده بانزعاج، وقال: «لا تقلقي ماريا. . . ! لا شيء خطير. إنه فقط ضغط الدم. إنه مرتفع والعلاج لا يتلاءم مع جسمي و. . . حسناً! أصر الطبيب على أنه أصبح علي أخذ الأمور بروية».

تدخلت والدتها قائلة: «لا يمكن للمرء أن يأخذ الأمور بروية في هذا النوع من الأعمال. سيكون ذلك تناقضاً غير منطقي، لذا قررنا أن نتقاعد. لم يكن القرار سهلاً، لكننا سنحاول جعل نتائجه جيدة بقدر المستطاع».

ثم نظرت نحو زوجها بابتسامة، وتابعت: «لن نتخلى عن السفر. بإمكاننا الإبحار مع بعض الأشخاص التقليديين الكبيري السن.

- لِمَ لم تخبراني بذلك من قبل؟ أبي، لم أكن أعلم. . .

بدا والدها متزعجاً، فهو لا يحب أن يبدو قلقاً. قال لها: «أنا لست مريضاً. أنا بخير. إنه مجرد ارتفاع مزعج في ضغط الدم، وكما قال الطبيب علي أن أبدأ بتوخي الحذر بسبب سني. هذا كل ما في الأمر».

هذا كل ما في الأمر؟!

ساور ماريا شعور بأن الأمر ليس بهذه البساطة. ما الذي سيفعله والداها الآن؟ عاشا لسنين طويلة من أجل عملهما. إنه حياتهما، فهو هوايتهما وعملهما في الوقت نفسه. حتى إنه ليس لديهما حفيد ليمضيا معه أوقات الفراغ التي ستطرأ على حياتهما كما يفعل معظم أصدقائهما، والفضل بذلك يعود إليها بالتأكيد لأنها ابنتهما الوحيدة. هذه الأفكار جعلتها تشعر بالذنب بقوة.

نظرت إلى إدي، وبدا كأن حقداً طفولياً بدأ يظهر على ملامحها من جديد. كرهت ماريا النبرة التي سمعتها في صوتها حين قالت: «منذ متى أنت على علمٍ بالموضوع؟ أعني. . . إن كنتما ستبيعان الشركة لإدي، فمن

الواضح أنكما أخبرتماه بذلك قبل أن تخبراني. لماذا؟».

- لم نرغب بأن تقلقي وتشعري بالضغط ماريا. لم يكن هناك سبب يدفعنا لنخبرك بالأمر قبل أن يتم ترتيب كل شيء.

- لكن. . . تباً!

لم تستطع منع نفسها من رفس الأرض برجلها.

لم يقوما فقط بمناقشة الأعمال مع إدي، لم يخططا فقط لأن يبيعا الشركة له. . . بل أخبراه بشأن مشاكل والدها الصحية أيضاً. من منهما الأقرب إليهما. . . . من دمهما ولحمهما، هي أم إدي؟

سألها والدها: «ما المشكلة ماريا؟ لم تكوني يوماً مهتمة بعملنا. أنت تكرهين كل ما يتعلق بهذه المهنة. أنت لا تريدين تلك الشركة».

- بل أريدها!

قال لها الثلاثة معاً بصوتٍ واحد: «لا! أنت لا تريدينها».

وبما أنها لم تجد خياراً أفضل، حدّقت ماريا بإدي وقالت: «بل أريدها. أنت لا تعرف شيئاً عما أريده!».

قالت كارا محاولة تهدئة الجو: «إنه الحل الأفضل ماريا. إدي متحمسٌ لإدارة الشركة. إنه أفضل حلٍّ كي لا تباع الشركة إلى شخصٍ غريب».

أمسكت بكتف ماريا، وتابعت: «الشركة تساوي الكثير، لذا قررنا أن نعطيك حصتك. ستحصلين على ما يكفي لتعيلي نفسك بينما تعملين على كتبك».

أيفترض أن يكون ذلك أمراً جيداً؟ سوف تحصل على المال. سيعطيانها جزءاً من المال الذي سيدفعه إدي مقابل الشركة؟

- ماذا؟

- نعم. أليس ذلك رائعاً؟ بإمكانك التخلي عن عملك في المكتبة والتفرغ لفنك من دون الشعور بالقلق حول مدخولك. إنه الحل الأفضل للجميع.

بدأت والدتها تبتسم الآن.

- لست بحاجة إلى الإحسان من أحد. عملي يكفيني.

لم يكن ذلك دقيقاً بالتأكيد، فمردود كتبها لا يكفي ثمناً لأوراق الرسم وأقلام التلوين، لكن ذلك سيتغير يوماً ما.

- جدي هو من أسس شركة «المغامرون الشجعان»، وعلينا ألّا نتخلى عنها...

أشارت بيدها نحو إدي وتابعت: «... لشخص غريب».

ما الذي ستخسره أكثر؟ أيعقل ألّا يبقي لها شيئاً؟ عضت ماريا على شفتها مدركة أنها تمادت في الأمر، لكنه أمر جدّي بحق السماء!

نظرت أمها نظرة اعتذار إلى إدي، واتجهت نحوه لتمسك بذراعه قائلة: «تعلم أنها لا تعني ذلك إدي. لطالما كنت فرداً من العائلة».

ثم نظرت نحو ماريا وقد ظهرت على وجهها إمارات الغضب الآن، ما جعل قلب ماريا ينفطر. إنهما جديان في ذلك... جديان تماماً!

- ماريا! إن كنا سنبيع الشركة، فلن نبيعها إلا لإدي.

- لا تقوما ببيعها إذاً!

حدّق والداها بها، فهذه هي المرة الأولى التي يسمعانها فيها تتكلم بقسوة معهما. لذا قالت بهدوء: «بإمكاني القيام بذلك. بإمكاني إدارة الشركة. سأجعلها تنجح. أتسمحان لي بالمحاولة على الأقل؟».

قال إدي: «ربما من الأفضل أن أرحل. ففي النهاية... إنه نقاش عائلي».

لكن والدها قال له: «لا!».

بدا الوالد مرتاحاً لأن تلك المقاطعة جعلته يتهرب من الإجابة عن سؤال ماريا. تابع يقول: «كما قالت كارا، أنت فرد من العائلة».

نظر نحو ماريا وغمزها، ثم قال: «حتى لو رفضت ابنتنا جعل ذلك أمراً رسمياً».

حرّك أصابعه وكأن فكرة لامعة خطرت في باله، ما جعل ماريا تعبس كأنها توقعت ما سيقوله: «سيكون ذلك الحل المثالي. ما رأيكما أيها

الولدان؟ لمَ لا تتزوجان؟ سيحل ذلك مشكلتنا، وسيجعلنا نحصل على الأحفاد في الوقت نفسه».

عظيم! فكرت ماريا، ها قد أصبح أبي يحب المزاح الآن، حركت عينيها ولاحظت أن إدي ابتسم فقط. من الواضح أنه تخطى الخجل الذي كانت تسببه له هذه المزحة وهو في الثانية عشرة من عمره.

- مضحكٌ جداً أبي. لا يمكنني التوقف عن الضحك.

ضحك والدها أيضاً حتى اهتزت كتفاه من الضحك، وقال: «حسناً! لا يمكنك لومي على المحاولة. لكن ما حصل قد حصل. سيقوم إدي بإدارة الشركة».

أخذ رأسها يدور بالأفكار. لا بد من وجود طريقة لمنع حصول ذلك.

- ما حصل قد حصل؟! هل أصبح الأمر رسمياً؟

- لا! ليس بعد. لا داعي للعجلة في الموضوع، فإدي يعمل لدينا أصلاً. سوف نناقش التفاصيل قريباً. هناك كمية كبيرة من الأوراق التي يجدر بنا مراجعتها.

- إذاً، لم يتم البيع بعد؟

حدّق والدها بإدي، وقال: «حسناً! لا. إن كنت تعنين من الناحية القانونية، لا شيء نهائي بعد».

- هذا جيد.

أخذت ماريا نفساً عميقاً وكأنها تتحضر للغطس عميقاً.

- لمَ تعتبرين ذلك أمراً جيداً ماريا؟

سألها إدي ذلك وقد ظهر الشك في سؤاله، لكن ماريا حدّقت في والديها وهي تجيب: «لأنني أريد أن أريكما أن لا داعي لبيع الشركة لإدي. سأريكما أن بإمكاني إعطاء الشركة تلك الروح التي تكلمتما عنها».

تنهّد والدها وقال: «وكيف تنوين القيام بذلك؟».

أحضرت ماريا دفتر الملاحظات والقلم من قرب الهاتف.

- راقباني، وستعرفان كيف سأقوم بذلك. ما اسم أهم مدرّبٍ خاص

لديكما؟

وقفت والدتها أمامها، وراحت تحدّق بها والخوف بادٍ على ملامح وجهها: «ماريا! ما الذي تفكرين به؟».

صرّت ماريا على أسنانها، ثم قالت: «سأقوم بذلك... إن كان هذا سيثبت لكما أن بإمكاني إعطاء شركة «المغامرون الشجعان» الروح فسأخوض كل الرياضات الخطرة. سأقوم بالقفز بالمظلة وبالتجذيف في الأنهار وبالقفز من المرتفعات وسأتسلق الجبال... سأفعل كل ما تريدانه... سأفعل كل شيء».

ساد الصمت في الغرفة.

- ماريا...!

إنه صوت إدي... وصلها صوته من بعيد بسبب مشاعرها المضطربة وفزعها.

هل أعلنت للتو أنها ستقوم بالقفز من الطائرة وبالتجذيف في الزورق عبر الأنهار؟ ماريا المعروفة بكونها دجاجة العائلة التي تخاف كثيراً... أهي من ستفعل ذلك؟

أما الأسوأ فهو شعور في داخلها أخبرها أنها تعني ما تقوله، وأنها ستقوم بذلك حتماً.

ردد إدي من جديد وقد حمل صوته المزيد من الرعب لها: «ماريا! أتقولين إنك ستقومين بالتجذيف في الأنهار، وبالقفز من الطائرة بالمظلة؟».

ضحك وتابع قائلاً: «أنت لا تعنين ما تقولينه. أليس كذلك؟».

بالطبع! ذلك سيغير مخططاته. لا تدعيه يضع يده على الشركة... لا تدعيه يسرقها من والديك... وقفت ماريا باستقامة وأصبحت أكثر تصميماً. على المرء أن يقوم بما عليه القيام به!

وجهت حديثها للجميع قائلة: «إن كان هذا ما يتطلبه إبقاء شركة جدي لنا، فهذا ما سأفعله. أعطوني شهراً واحداً، وسأريكم».

- ماريا!

لم تدع ماريا والدتها تتكلم. حان الوقت لتغيير الموضوع. وقفت فجأة وقالت: «والآن، أعتقد أن هناك قالب حلوى في مكانٍ ما داخل تلك الثلاجة. دعونا نحضره».

أراد إدي المغادرة في أسرع وقت ممكن، فهو الآن بحاجة إلى التفكير العميق وإعادة التخطيط، لكن ماريا سبقته بالمغادرة. قامت بقطع قالب الحلوى سريعاً وقبلت والديها، ثم وقفت عند الباب لتودعهم من دون قول أي كلمة سوى «إلى اللقاء».

غرق المنزل في الصمت بعد أن أغلقوا الباب خلفها. أخذ إدي يحدق بهارلان وكارا وهو غير واثق مما يجري بعد.

كان بينهم اتفاق. وهو باشر بالانخراط في نشاطات الشركة، وبدأ يخطط لحياته المستقبلية على هذا الأساس. ما الذي سيحدث الآن؟

إنه يتفهم وجهة نظر ماريا. صحيح أنه لم يخطر بباله يوماً أن تكون مهتمة بإدارة الشركة، لكنه لم يتوقع ألا يكون والداها قد أخبراها عن عملية البيع أو عن تراجع صحة والدها.

ابتلع ريقه وقال: «صححا لي إن كنت مخطئاً، لكن...».

لم يدعه هارلان يكمل كلامه، إذ لوح بيده وقال: «أعلم... أعلم... لا تقلق بشأنها».

- أعلم أن المحامين لم ينهوا الصفقة بعد، لكن...

- أعلم بني. لا تقلق! شركة «المغامرون الشجعان» كلها لك، وهذا لن يتغير.

علّق إدي قائلاً: «هارلان، أنت وعدت ماريا للتو أن بإمكانها المحافظة على الشركة إن نجحت في المغامرات التي تقوم بها».

كشر هارلان، فذكرت تكشيرته إدي بماريا في لحظاتها الماكرة.

- هل فهمتني الآن؟

هزّ إدي رأسه وقال: «عمّ تتكلم؟ لم أفهم شيئاً».

رفع هارلان إصبعه، وبدا معتداً بنفسه وهو يقول: «انتبه دائماً

للتفاصيل. إدي، إنه درسٌ مهمٌ في الإدارة. اقرأ دائماً ما وراء الكلام».

- ماذا تقصد بالتفاصيل؟

- ما قلته لها هو أن الشركة بحاجة إلى مغامر لإدارتها، وهي ليست كذلك. هي قالت إنها ستثبت العكس، لكنني لم أقل إنني سأعطيها الشركة.

- لكنك جعلتها تعتقد ذلك.

- بالضبط. لكن لا ضرر في الأمر، فهي لن تنجح في ذلك. لن يحدث هذا. شركة «المغامرون الشجعان» لن يديرها شخصٌ يكره ما نقوم به.

هزّ هارلان رأسه، وتابع: «ماريا لن تنجح في هذا فهي لا تملك قلب المغامر، وهذا ليس أمراً يمكنها ادعاءه».

تأوه إدي وقال: «هارلان، ألم تدرك بعد أن ابنتك عنيدة ومصممة؟».

- حسناً! هل بإمكانك أن تتخيل ماريا تقوم بالقفز بالمظلة؟

فكر إدي للحظة محاولاً تخيل وجه ماريا حين اعترفت له للمرة الأولى أنها تكره المغامرات. هز رأسه وهو يفكر أنها كانت لتركب الزورق لو لم يقم باختراع حجة لإنقاذها. بقيت تواجه كل ما يرميه والداها بوجهها لفترة طويلة جداً من دون أن تتذمر، وذلك كي تثبت نفسها أمامهما.

- نعم، إن كان الموضوع يهدف إلى أمر تريده فستنجح.

- حسناً! ربما تنجح في حركة أو اثنتين لكنها لن تنجح في الاختبار الكامل. أعني الطيران الشراعي والقفز من الطائرات؟ ماريا...؟ وذلك كله في شهر واحد؟ لا! لن تنجح.

إنها وجهة نظر سليمة. فحتى إدي لا يجد نفسه مستعداً للقيام بجميع نشاطات الشركة كلها في شهر واحد.

أمسكت كارا بذراعه، وقالت: «لا تقلق إدي! ماريا لن تتابع، وسوف تأخذ أنت الشركة. سرعان ما تدرك أنها لا تريدها فعلاً، وسيكون الوضع أفضل قريباً جداً».

نظر إدي نحوهما بسخط: «أنا لا أفهم كيف تجدان أن مخاطرة ابنتكما

بنفسها حتى الموت أمر سيجعل الوضع أفضل؟».

تبادل والدا ماريا النظرات، وكأنهما يتكلمان عبر التخاطر. شرحت كارا له قائلة: «إنها الطريقة التي تسبب أقل ألم ممكن».

رمش إدي بعينيه: «أقل ألم ممكن؟ لمن؟».

إنها بالتأكيد ليست الأسهل لماريا.

قال هارلان وعيناه تلمعان وكأن إدي هو من يحاول إهانة ابنته: «ماريا فتاة رائعة. إنها طيبة، ذكية وموهوبة... ونحن فخوران جداً بها».

تساءل إدي إن كانا قد أخبراها ولو مرة بشعورهما هذا. إنه يشك في ذلك. ليس لأنهما والدين سيئان، لكن على الأرجح أنه لم يخطر ببالهما يوماً أن ماريا بحاجة إلى سماع هذا الكلام.

تابعت كارا تقول: «لكنها لا تملك روح المغامرة، أما أنت فبلى. إدي! أنت بمثابة ابنٍ لنا، ونحن لا نريد أن تنطفئ شعلة الشركة. مع ماريا ستنطفئ تلك الشعلة بلا شك».

لم يكن إدي واثقاً من ذلك. ارتمى فوق الكرسي، وقرر التوقف عن الكلام لبعض الوقت، فالكلام لن يوصله إلى أي مكان. عليه أن يفكر جيداً، فما يحصل ليس سهلاً على الإطلاق. فرك يديه فوق ركبتيه وهو يتساءل إن كان بإمكانه أن يترك كل شيء خلفه ويسافر ليؤسس شركة المغامرات الخاصة به في مكان بعيدٍ من هنا.

لا! لا يمكنه فعل هذا. عليه التفكير بجيني وساموبل. لا يمكنه المغادرة... إنه عالق هنا.

أخذ نفساً عميقاً، وأبعد بحزم الخوف الذي مازال يساوره بسبب تلك الفكرة. هو من اختار أن يعود... اختار أن يكون بقرب جيني وساموبل.

للمرة الأولى في حياته شعر إدي أنه ليس حراً في القيام بما يحلو له، أو في الذهاب حيث يحلو له. عليه أن يبقى هنا حالياً.

إنه يحتاج إلى شركة «المغامرون الشجعان». إنه يحتاج إلى تنفيذ

الاتفاق. . . يحتاج إلى إبعاد ماريا من طريقه.

قالت كارا: «أرأيت إدي؟ إنها الطريقة الأسهل. ستدرك ما هي قادمة عليه».

ابتسمت بمرح وكأنهما راضيان جداً عن السيناريو، ثم تابعت: «بهذه الطريقة سوف تتوسل إليك كي تدير الشركة بدلاً من المشاكسة».

إنهما يملكان وجهة نظرٍ مقنعة، المشاكسة هي السبب الذي يدفع بماريا للمطالبة بإدارة الشركة، بينما لم تكن يوماً مهتمة بنشاطات تلك الشركة.

شعر إدي أنه يعرف السبب الحقيقي لموقفها. الغضب المفاجئ الذي ظهر في عينيها حين عرفت أنه هو الذي سيشتري الشركة بدا برهاناً كبيراً على إحساسه. إنها لا تريده أن يستلم الشركة.

لاحظ إدي منذ فترة أنها تتضايق من الاهتمام الذي يبديه والداها نحوه. . . إنها تحسده رغم أنها من جهة أخرى ترحب بالأمر مادام يخفف من ضغط والديها عليها.

لكنه إرثها وهما سيبيعانه له من دون ذكر الموضوع أمام ابنتهما حتى!

ساوره شعورٌ بأن ماريا ما كانت لتعارض كثيراً لو أنه كان شخصاً غريباً. في الواقع، ما كانت لتمانع أبداً.

شبك إدي ذراعيه فوق صدره، وجال بنظره نحوهما وقال: «ليس هناك ما يضمن عدم تراجعها. ماذا لو لم تفعل؟ ما الذي سنفعله حينها؟».

هز هارلان كتفيه، وقال: «لن أضيع وقتي بالقلق على هذا الأمر لأنه لن يحدث».

* * *

قاد إدي سيارته عائداً إلى مكتبه وهو يشعر بالسخط. انتقل سخطه من هارلان إلى ماريا. ما الذي تراها تفكر فيه؟ بغض النظر عن نوبة الغضب التي سببتها له، لا يعقل أن تفكر فعلاً بإدارة الشركة.

عاد إلى منزله بنوايا واضحة. سيفعل كل ما بوسعه من أجل شقيقته وابنها. لم يكن خياره سهلاً، لاسيما بعد تشخيص المرض لدى ساموبل

وبعد سماع الأخبار المحزنة من جيني بصوتٍ مبحوح حين تركهما زوجها. سيذهب إلى المنزل، وسيكون هناك من أجلهما حين يحتاجانه.

من الجيد للجميع أن تكون لديه شركة مغامرة خاصة به ليبقى جزءاً من هذه التجارة، لكن الأبحاث التمهيدية التي قام بها بدت محبطة. شركة «المغامرون الشجعان» مؤسسة ناجحة وموجودة أصلاً. بكل بساطة، ليس هناك متسع لدخول شركة جديدة إلى السوق إلا إذا أراد أن يشن الحرب ضد شركة «المغامرون الشجعان».

بالرغم من أنه خبيرٌ ناجح في مجال التكنولوجيا وهو أكثر خبرة بالأجيال الصاعدة، لكنه لا يريد التنافس مع أصدقائه القدماء. . .

بدت تلك معضلة صعبة، كما بدا عرض الشركة للبيع حلاً مرسلاً من السماء، فهو سيحل مشكلته ومشكلتهم.

حرك إدي المقود بكفه وهو يركن السيارة في الموقف المخصص له. ماذا الآن؟ لم يتخيل مطلقاً أن ماريا ستعترض على استلامه للشركة.

المكتب الذي استأجره مع شريكه ليحضرا للعمل كان يعج بالأوراق والأغراض غير المرتبة كالعادة. كان آدم لايزال هناك خلف الكمبيوتر. هناك كالعادة، شاشتان ولوحتا مفاتيح وقطع كمبيوتر مختلفة منتشرة بشكل عشوائي هنا وهناك، فهما يخططان لإعداد صفحة إعلانية إلكترونية لتجارتهما كي يستطيعا وضع أحلامهما معاً موضع التنفيذ. كانت خطتهما هي جعل شركة «المغامرون الشجعان» تواكب تطور القرن الحادي والعشرين، ما يعني الوصول إلى المغامرة بالضغط على زر في الكمبيوتر.

انتشرت قطع الكمبيوتر هنا وهناك على الأريكة القديمة الممزقة. لم يفهم إدي يوماً العلاقة بين البرمجة و بين انتشار الأجزاء الداخلية للكمبيوتر في كل مكان، لكن هذا الجزء من العمل هو من مهمات آدم.

قال وهو يبعد قطع الخردة ليجد لنفسه مكاناً على الأريكة الصغيرة: «لدينا مشكلة».

أجفل، ثم سحب قطعة ما من تحته ورماها نحو شريكه. وعلّق قائلاً:

«هل يصنعون هذه الأدوات بزوايا حادة عن تعمد؟».

قال آدم وهو يتفقد إن كانت تلك القطعة قد أصيبت بأي ضرر: «عفواً. ما المشكلة؟».

- «المغامرون الشجعان»! قررت الابنة أن تدير الشركة بنفسها.

حدّق آدم فيه وقال: «الابنة؟ أتعني ماريا؟».

- نعم، إنها...

عبس إدي وتابع يقول: «انتظر لحظة، ما الذي تعرفه أنت عن ماريا؟».

هز آدم كتفيه وقال: «أعتقد أنها صاحبة العينين البنيتين الداكنتين والشعر المائل إلى اللون الأحمر، التي كنت تعتبرها كأختٍ لك لكنك شعرت بالانجذاب نحوها قبل رحلتك إلى النيبال؟».

قطب إدي حاجبيه وهو ينظر نحو صديقه، وقال: «يفترض بك أن تنسى الأشياء التي أخبرك بها وأنا ثمل. نعم، إنها ماريا التي تكره المغامرات».

- وما الذي ستفعله إذاً بالشركة؟

هز إدي كتفيه وحرك رأسه، ثم قال: «لا تعجبها فكرة أن يقوم شخص غريب بأخذ الشركة. ولأكون أكثر تحديداً... لا تعجبها فكرة أن أقوم أنا بالتحديد بتولي إدارة الشركة».

أطلق آدم شتيمة حادة، فهز إدي رأسه وقال: «هذا ما حصل تماماً».

- ليس في الجحيم اهتياج وغضب يوازي ما تسببه امرأة مزدرية.

تأوه إدي، وقال: «أرجوك، لا تسمعني أقوالاً لشكسبير. يبدو أن الكثير من الناس يشعرون بالشاعرية اليوم، وهذا يسبب لي ألماً في رأسي».

مسح وجهه بيديه كي لا يعيش تلك اللحظة من جديد.

في بداية كل ربيع، حين تبدأ رائحة العشب الأخضر بدغدغة أنفاسه يسترجع إدي تلك الذكرى. إنه أمر سخيف على الأرجح، لكنه يتذكر الثواني القليلة التي أمضياها متعانقين ومستلقيين على العشب. لسبب ما ترفض ذاكرته أن تنسى تلك الحادثة. تابع يقول لآدم: «بالإضافة إلى ذلك،

ما من ازدراء في الموضوع. إنها طفلة تشعر بالهزيمة».

- وما الذي سنفعله مع ماريا خاصتك الآن؟ إن خسرنا الاتفاق...

دفع آدم بلوحة المفاتيح جانباً، وشبك ذراعيه فوق صدره.

اعترض إدي قائلاً: «إنها ليست خاصتي، ونحن لن نخسر الاتفاق. أخبرها والداها أن الشركة يجب أن يديرها مغامر، وهي ليست كذلك».

شعر آدم ببعض الارتياح، فقال: «لقد أخفتني للحظات. إذاً، هل كل شيء بخير؟».

- ليس تماماً.

تنهد آدم وقال: «هلّا تكرمت وأخبرتني القصة كاملة بدلاً من استخراجها منك قطعة بعد قطعة».

- أخبرتهما ماريا أنها تريد أن تثبت لهما بأنها مغامرة، إن كان هذا ما تتطلبه إدارة الشركة.

ظهر الفزع على وجه آدم: «هل تعني...؟».

هز إدي رأسه وهو يتأوه من الداخل من أجل ماريا.

- نعم. تريد أن تقوم بالقفز من الطائرة وبالتجذيف في الأنهار وبتسلق الجبال وبكل الرياضات الخطيرة الأخرى.

- هذه مشكلة. إذا نجحت فإنه...

- حتى لو نجحت فلن يعطياها الشركة.

استلقى إدي إلى الخلف وأغمض عينيه. إنه لا يزال غير راضٍ عن هذا الجزء من الخطة.

- ماذا؟

- والداها سيوهمانها بأنهما سوف يعطيانها الشركة، لكنهما يراهنان على أنها لن تنجح. إلا أنهما يريدانها أن تحاول وتفشل كي تدرك أنها لا تريد ذلك فعلاً.

ضحك آدم بارتياح، وأعاد انتباهه إلى الكمبيوتر من جديد.

- إذاً، كل شيء بخير. ليس هناك ما يستدعي القلق. أليس كذلك؟

- أعتقد ذلك.

تمتم إدي بذلك وهو يفكر بأن آدم محق. مستقبلهما في الشركة ليس بخطر. لكن بالرغم من ذلك فهو يشعر بالقلق تجاه الموضوع كله. إن كارا وهارلان يقومان بخداع ماريا وهو يتآمر معهما في الجريمة.

أدار وجهه كي ينظر من النافذة وهو يعبس. ماذا لو نجحت ماريا؟ حتى لو نجحت في القيام بالمغامرات لن يسمحا لها بإدارة الشركة. هما يريدان شخصاً يملك روح المغامرة لا شخصاً يجبر نفسه على القيام بتلك الرياضات.

لن تتمكن ماريا من الفوز أبداً. إن نجحت في الاختبار فسوف يجرحها عدم حصولها على الشركة رغم الجهد الكبير الذي بذلته، وإن أخبرها والداها أن من المستحيل إعطاءها الشركة مهما كانت نتيجة تجربتها فذلك سوف يجرحها أيضاً، وحتى لو حصلت على الشركة فهي ستغدو عالقة في عمل لا تحبه ولا تفهمه، وذلك سوف يجرحها على المدى البعيد.

أدرك إدي بأسفٍ أن هارلان وكارا محقان. الطريقة الوحيدة لحل الأمور بشكل هادئ هي السماح لماريا بخوض التجربة... والفشل في النهاية. الطريقة التي قد تسبب أقل ألم ممكن لها هي أن تدرك بأنها ليست مستبعدة، بل إنها أفضل حالاً بعيداً عنّ الشركة.

ظهر العبوس من جديد على وجهه. لكن... ماذا إن لم تفشل؟ ماذا لو كانت عنيدة وألحّت على المثابرة وعبثت بمستقبله ومستقبلها من دون سبب جيد لكليهما؟

تذكر سؤال ماريا لوالديها منذ ساعات قليلة «ما اسم أهم مدرّبٍ خاص لديكما؟».

ضحك إدي بطريقة غريبة جعلت آدم ينظر نحوه ويرفع حاجبه.

نعم! إنه يعرف المدرب المناسب. إذا كانت ماريا تريد المغامرة، فسيقدمها لها بالتأكيد!

٣ - مهلاً، لا تأمرني!

يا له من عيد ميلاد!

ليس لأنها توقعت الألعاب النارية والاحتفالات أو حتى حفلة صاخبة خارج المدينة. لا! كل ما أرادته هو عشاء عائلياً هادئاً مع هدية هي عبارة عن قصة حياة مغامرٍ، تعودت الحصول عليها كل سنة في عيدها. في الواقع، حصلت ماريا هذه السنة على قصتها، وهي تدور حول مغامر يستكشف المنطقة القطبية. لكن العشاء الهادئ جاء مختلفاً تماماً عما توقعت.

كانت زميلتها في الغرفة لاتزال مستيقظة. بالطبع لم يتأخر الوقت بعد، لكنها شعرت أنه تأخر كثيراً. من الجيد أن نيكول هنا، فهي قد تبدأ بالنحيب قبل الخلود للنوم.

حتى القطتان اللتان تشاركانهما الغرفة كانتا مستيقظتين. رحبتا بماريا حين وصلت وأخذتا بالتمرغ على كاحليها. أحضرت ماريا القطتين فلير وستورم حين بدأت العمل في المكتبة، وقد أصبحتا جزءاً حيوياً من حياتها.

نادتها نيكول من غرفة الجلوس: «هيه... ! هل استمتعت بعيد ميلادك مع والديك؟ هل حصلت على هدية؟».

ردّت ماريا قائلة: «نعم. أهدياني رجلاً مغرياً».

جعل ذلك الكلام نيكول تنهض عن الأريكة وتتجه نحو الباب وهي تلبس بيجامة، وقد بدت عيناها البنيتان مفتوحتين بشدة.

- ماذا قلت... رجلاً مغرياً؟ أتقصدين حقاً أنهما أحضرا لك رجلاً ليرقص في عيد ميلادك؟

شعرت ماريا أنها تكاد تنهار بسبب الفكرة. أليس هذا أمراً ممتازاً؟ رؤية إدي يؤدي رقصة رائعة في منزل والديها!

- لا! من المستحيل أن يفعلا هذا.

- تباً! لقد تحمست للفكرة.

- دعيا صديقاً قديماً للعائلة، وهو شاب أعرفه مذ كنت طفلة. عندما كنت في الثانية من عمري كانا يمزحان ويقولان إنهما يريدان تزويجي له.

- أهو وسيم؟

- عرضا عليه شراء شركة العائلة. أتصدقين هذا؟ ولو استطاعا لقاما ببيعي له مع الشركة.

- نعم... لكنك قلت إنه شاب مغرٍ.

عبست ماريا بوجه صديقتها وهي متأكدة أن أمراً واحداً يجول في رأسها، وقالت: «ألم تسمعي جيداً؟ سيعطيانه الشركة».

- آه! نعم، هذا أمرٌ... سيء.

- بالطبع إنه أمرٌ سيء. نحن نتكلم عن شركة جدي. إنها حلمه... أسسها جدي بتعبه ودمه ودموعه. يجب ألا تباع لشخص غريب.

رمشت نيكول بعينيها، وقالت: «لكنك لست مهتمة بأعمال المغامرة. لم تتكلمي عنها يوماً. ظننتك ستكونين سعيدة بالتخلص من الشركة».

وضعت ماريا يديها فوق خاصرتيها، وقالت: «نيكول! إلى جانب من تقفين؟».

- آسفة، أنا لا أعرف عما أتكلم. هل بإمكاننا التحدث عن الشاب المغري الآن؟

هزت ماريا كتفيها، وقالت: «إنه مجرد شاب. تعرفين... شبح من الماضي».

- أهو شبحٌ جذاب؟

- كنا نبني قصور الرمل معاً حين كنا في الخامسة والعاشرة من عمرينا، ووالدتي تتمنى أن نتزوج منذ ذلك الحين.

حاولت نيكول أن تفهم الموضوع: «آه! لاحظت أنك تحاولين تجنب الإجابة عن سؤالي، ما يجعلني أفهم الكثير مما تخفينه. لكن على أي حال... ما الذي يحدث؟ هل يحاول والداك التقريب بينكما كي لا تخرج الشركة من يد العائلة؟».

سكبت ماريا لنفسها بعض الشوكولا بالحليب، وتوجهت إلى غرفة الجلوس لترمي بنفسها فوق الأريكة. قالت لنيكول: «لا! والداي ليسا من القرون الوسطى، بالإضافة إلى أنهما لن يفعلا ذلك بإدي الغالي الثمين. لن يزوجاه من «الآنسة مملة».

- آه... هيا! تخطي فكرة الملل تلك. أصبحت معقّدة. أتعلمين أن معظم الناس يصنفون كأشخاصٍ مملين حسب نظريتك؟

- آسفة، لكن ما أقصده هو أن إدي يحتاج إلى امرأةٍ تحلم بالوصول إلى قمة إفرست وبالتزلج معه نزولاً من هناك.

رشفت القليل من كوبها، وتابعت: «أو ربما يمارسان الطيران الشراعي هناك لأنه يحمل المزيد من المخاطرة على ما أعتقد».

- أشعر بلمحة من الحزن وراء تلك اللهجة الساخرة، أم أنك تشعرين بتوعك ما؟

تباً! إنها محقة.

- حسناً! لو كنت متسلقة جبال مثل إدي لفعلت أسوأ مما فعل...

تنهدت ماريا بقوة، وخرج سرٌ قديم من فمها: «أتعلمين؟ لقد عانقته ذات مرة».

فجأة بدت نيكول مهتمة جداً. جلست على كرسي قريب، ثم انحنت نحو ماريا وقالت: «أحقاً؟».

وضعت ماريا كوب شراب الشوكولا من يدها فوق الطاولة، واستلقت على ظهرها لترى السقف. قالت: «نعم. كنت في الثامنة عشرة من عمري. كان على وشك السفر إلى النيبال لكي يبقى هناك لمدة سنتين. اعتقدت أنها نهاية العالم، ولم أخبره حتى بأنني أحبه!».

- أتحبينه؟

تكلمت ماريا بسرعة قائلة: «إنه حب طفولي. بعد ذهابه إلى الجامعة أصبحت أراه مرة كل عام. بالكاد يستطيع المرء الوقوع بالحب في هذه الفترة».

سألت نيكول بنفاد صبر: «ماذا حدث بعد ذلك؟ هيا! أخبريني الجزء الجميل».

اعترفت ماريا لنفسها أن هذه الذكرى ليست بعيدة عن أفكارها، فهي تسترجعها في كل مرة تقابل إدي من جديد.

- إنه أمرٌ محرج. هل علينا الخوض فيه؟

أمسكت نيكول بوسادة، وجلست بشكل مريح، ثم قالت: «هيا! أنت بدأت هذه القصة وعليك إنهاؤها. لا يمكنك التوقف الآن».

أخذت ماريا نفساً عميقاً ثم بدأت تخبرها الرواية.

- حسناً... ! قررت أن أخبره بما أشعر به... متمنية أن يدرك أنه يحبني أيضاً وأنه لا يستطيع العيش من دوني.

رفعت ماريا إصبعها بوجه نيكول، وهددتها قائلة: «لا تضحكي الآن!».

غطت نيكول فمها بيديها، وهزت رأسها وقد فتحت عينيها بحماس. تابعت ماريا قائلة: «كان هو ووالداه يتناولون العشاء في منزلنا. انهمك والداي ووالداه بالحديث عن السياسة، فخرجنا أنا وإدي إلى الحديقة».

آه، يا إلهي! كم كانت ساذجة! يبدو لها الأمر مضحكاً الآن.

- كان مساء يومٍ ربيعي وبدا الجو رومنسياً بوجود الشجيرات المزهرة...

هطل المطر منذ فترة قصيرة، فأيقظت الرطوبة رائحة العشب وأوراق الشجر. مرّ هواء عليل بين خصلات شعر إدي فبعثرها. حاولت ماريا تمرير يدها فوقها لتملسها، فشعرت بارتعاشة قوية في أعصابها.

بدا إدي مرتبكاً، وراح ينظر حوله متسائلاً ما الذي تريده.

- ماذا حدث بعد ذلك؟

عضت ماريا شفتها غير واثقة إن كانت تريد أن تبتسم أو تعبس.

- حسناً! حاولت أن أخبره أنني واقعة بحبه وأنه لا يستطيع أن يذهب ويتركني خلفه و... أن عليه أن يبقى معي فنعيش بسعادة، لكنني لحسن الحظ لم أستطع التعبير عن هذه المشاعر.

- وماذا فعلت؟

- قمت بالأمر المنطقي الذي خطر في بالي في تلك اللحظة.

أغمضت نيكول عينيها وانزلقت نزولاً فوق الكرسي، ثم قالت: «آه! هنا يأتي الجزء الجميل. أليس كذلك؟».

ابتسمت ماريا، وقالت: «نعم. اقتربت منه و... عانقته».

صرخت نيكول وكأنهما لاتزالان مراهقتين.

- ماذا حدث بعد هذا؟

- عانقني بدوره... لعشرٍ من الثانية تقريباً... لكنني شعرت أنني متّ وانتقلت إلى الجنة...

غطت ماريا وجهها بيديها، وتابعت: «... ثم دفعني بعيداً عنه، وصرخ في وجهي وهو يسألني ما الذي أفعله بحق السماء، قائلاً إنني طفلة. ثم عاد بسرعة إلى الداخل قبل أن أستطيع التعبير عن حبي الأبدي له».

أخذت نيكول تضحك، ولم تستطع ماريا لومها. لكن الأمر لم يبدُ مضحكاً في ذلك الوقت. تابعت تقول: «خفت كثيراً من العودة إلى المنزل، ولم أدخل إلا بعد أن غادر. لم نلتق بعدها إلا منذ عامين، ولم يأتِ على ذكر الموضوع من جديد. أتمنى فعلاً أن تكون تلك الحادثة قد صدمته لدرجة أنه نسيها تماماً».

- أشك بذلك.

- لكن هذا ما أتمناه، فأنا لا أحتمل أن يتكلم عن الموضوع مرة أخرى.

- إذاً، كيف تشعرين حياله الآن؟

- حصل هذا منذ زمن بعيد، نيكول. أنا الآن غريبة عنه تماماً.

- لا أظن ذلك. أتخيل إدي وماريا جالسين تحت الشجرة...

حدقت ماريا بصديقتها، وقالت: «اخرجي من صفوف المدرسة المتوسطة نيكول. كما أنني لا أريد مغامراً آخر في حياتي حتى لو كان السيد «كامل الأوصاف» نفسه. لدي ما يكفي من المغامرين في عائلتي، وقد عبث ذلك بطفولتي بما يكفي. شكراً لك».

سألتها صديقتها: «وما الذي سيحدث الآن؟ هل سيشتري شركة والدك؟».

ارتاحت حين شعرت أن نيكول قد اتزنت في كلامها أخيراً، فهزت رأسها لتفسر لها الموضوع: «لا! هذا ما يظنه، لكنه لن يحصل على الشركة. لن أسمح بحدوث هذا».

- حسناً! إذاً ماذا حدث؟ هل أقنعت والداك ألا يبيعا؟

- نوعاً ما...

- نوعاً ما؟

أخذت نفساً عميقاً، ثم قالت: «هناك خدعة صغيرة في الموضوع. قالا إن الشركة بحاجة إلى مغامر كي يقودها، شخص يستطيع تجربة كل الرياضات قبل عرضها على الزبائن، ويخوض كل المغامرات والاكتشافات وكل المخاطر. شخص يعرف مستلزمات هذا النوع من الأعمال. لذا...».

أمسكت نيكول بهرة مرت أمامها وغمرتها بقوة، لكنها صرخت حين سمعت كلام ماريا قائلة: «آه، لا!».

- آه، نعم!

- لن تقومي بـ...

هزت ماريا رأسها، وقالت: «بلى، سأقوم بذلك».

- آه... يا إلهي!

تعرف نيكول الكثير عن المغامرات التي عانت منها ماريا في طفولتها

حتى استطاعت في النهاية التخلص منها. عرفت كم شعرت بالرعب وكم كرهت الإجازات بسببها.

- ما الذي ستفعلينه كي تثبتي أنك قادرة على الإدارة؟ هل ستقومين بالقفز من الطائرة؟

أرادت ماريا ما يدعمها. رشفت آخر رشفة من كوبها بصوت مسموع، ووضعته جانباً.

- سأقوم بذلك بالإضافة إلى كل المجموعة الأخرى من الرياضات الموجودة على قائمة الشركة.

- لا!

- بلى!

- لا يمكنك أنه تكوني جدية بهذا الخصوص. أنت تخافين من المرتفعات... تكرهين الآلات التي تسبب الدوار... لن تتمكني حتى...

هزت ماريا رأسها بإصرار. بدأ قلبها يضرب بقوة منذ الآن تحت ضلوعها لمجرد التفكير بالموضوع.

أعرف ذلك. لكن هذه هي الطريقة الوحيدة التي سأتمكن بها من إقناع والدي بأنني قادرة على إدارة الشركة.

- لكن لن يقف الأمر عند هذا الحد. أليس كذلك؟ إنه ليس بأمر يحدث مرة واحدة. ستضطرين إلى القيام بذلك مادمت تقومين بإدارة الشركة. ستعودين إلى جحيم المغامرات، وهذه المرة لن يكون الوقت محصوراً بالإجازات المدرسية. إنها حياتك.

في الواقع لم تفكر ماريا بالموضوع بهذه الطريقة، وهي لن تبدأ بذلك الآن. الأمر الأساسي الآن هو منع البيع.

- ربما... وربما لا. سنرى. سأفكر في ما بعد بأمر ما. لكن أولاً علي أن أثبت كفاءتي ولو لمرة، ليتأكدوا أنني مستعدة للتضحية من أجل الشركة. بعد أن أقوم بذلك آمل أن يلينا ويسمحا لي لاحقاً بأن أستخدم

روحاً أو اثنتين.

- روحاً... عمَّ تتكلمين؟

تنهدت ماريا، وقالت: «إنه هاجس والديّ. إنهما مصران على أن الشركة لن تنجح إلا إذا كان مالكها متمتعاً بروح المغامرة».

- أعتقد أن لديهما وجهة نظر مقنعة.

- حاولي الوقوف في صفي نيكول! أحتاج إلى من يدعمني.

- أنا آسفة. أعتقد أنه لم يكن عيد ميلادٍ سعيد كما أردت. أليس كذلك؟

أخيراً سمعت ماريا بعض التعاطف معها. ارتفعت معنوياتها قليلاً وهي تبحث عن دفتر الرسم. بما أنهما فنانتان كان لابد من وجود دفترٍ قريب.

- حسناً! هناك أمر واحد جيد في كل ما حدث: إنه ماريوس. الأمر الوحيد الإيجابي في ما يخص إدي هو أن شكله مناسب لشخصية ماريوس.

- أحقاً؟ من الأفضل أن يحدث الأمر متأخراً على ألّا يحدث أبداً. اعتقدت أنك لن تستطيعي تجسيده أبداً.

رسمت رسماً أولياً، فراحت تبتسم تارة وتعبس أخرى.

- نعم. حتى إنني قد أتمكن من الالتزام بموعد التسليم.

- هل سيجلس أمامك لرسمه أم أنك تستطيعين فعل ذلك من دون مساعدته؟

من المستحيل أن تطلب مساعدة إدي مهما كانت بحاجة إلى ذلك.

هزت ماريا رأسها، بينما كانت تحرك القلم بين أصابعها فوق الورقة وهي تحاول تصور شكل إدي حين جلست بقربه على الأريكة وأخذت تمزح معه.

- سأضطر إلى القيام بذلك من دون مساعدته. سيكون الأمر صعباً بعض الشيء، لكنها الطريقة الوحيدة. ربما يملك والداي صوراً بإمكاني سرقتها لبضعة أيام. بالطبع، من الأفضل لو أنه يجلس أمامي، لكن لا مجال لطرح فكرة مماثلة بالتأكيد.

لطالما فضلت ماريا استخدام شخصيات حقيقية حتى لو كان أبطال رواياتها هم من الحيوانات، فهي تحب أن تلتقط شخصية شخصٍ ما وتنقلها إلى أوراقها بشكل مختلف تماماً عما يبدو عليه ذلك الشخص. من الأفضل بالطبع أن يجلس إدي أمامها لترسمه، لكن بدا لها كأن وجهه محفور في خيالها بقوة.

إن كانت شركة «المغامرون الشجعان» تحتاج إلى روح ما، فإن شخصيات رواياتها بحاجة إلى تلك الروح بالتأكيد.

نظرت نحو الرسم الأولي لماريوس، ثم تنهدت رغم أن الملامح العامة لشخصيتها بدأت تتوضح. يا له من أمر عظيم! من بَين كل الناس في العالم، على بطل روايتها أن يتحلى بروح كروح إدي!

في اليوم التالي نهضت ماريا وهي تشعر بدوار قوي. آه! الأمر أسوأ مما ظنّت. حاولت فصل أحلامها عن الواقع، وسرعان ما أدركت أن شعورها بالدوار أمر طبيعي فلقد اختارت أن تصبح مغامرة حقيقية. قررت أيضاً ما ستكون مهمتها الأولى: القفز من الطائرة!

ستقوم بقفزة حرة عبر الغيوم على ارتفاع آلاف الأقدام في الهواء... ستسقط نزولاً ونزولاً ونزولاً...

تغطت بلحافها حتى ذقنها، وهي تغمض عينيها وتشعر بالرعب منذ الآن. إنها البداية فقط. سوف تأتي بعد ذلك جميع أنواع الرياضات المخيفة. لم تعد ماريا على علم بنشاطات الشركة المتنوعة، وتمنت لو أن باستطاعتها ألا تتعرف عليها. أحضرت كتيب النشاطات معها، لكنه مازال في حقيبتها.

قالت لنفسها: «لا تشعري بالذعر! بإمكانك القيام بذلك... فكري بكل رياضة بمفردها».

إن بدأت بالقفز من الطائرة فمن المستحيل أن تصبح الأمور أكثر خطورة. أليس كذلك؟

دفنت رأسها تحت الوسادة، وتأوهت. هي لا تريد أن تعرف، لكنها

شعرت أن هناك رياضات أصعب وسوف يكون عليها تنفيذها كلها.

يا لها من غلطة! لقد أقحمت نفسها في المشاركة في مغامرات جهنمية... ولأي سبب؟ أمن أجل شركة لا تريدها؟ لطالما أرادت مهنة مختلفة تماماً، مهنة لا تتلاءم أبداً مع شخصٍ يدير شركة مغامرات. لكن الاخلاص للعائلة أمر مهم، وكذلك احترام والديها لها. إنها مسألة كرامة. إنها شركة العائلة، ويجب أن تبقى كذلك. إنها حلم جدها، وهي لن تتخلى عنها إلى شخصٍ غريب... إلى إدي!

عبست ماريا، وحاولت تجاهل تلك الحرارة التي شعرت بها بالأمس فوق صدره كي تركز على المشكلة التي تواجهها. في الواقع لا ينوي والداها بيع الشركة إلى شخص غريب. إنهما يبيعانها لإدي.

هذه الفكرة جعلت مشكلتها أكثر سوءاً!

سحبت رأسها من تحت الوسادة، وجلست في السرير عابسة الأسارير.

تنهدت ماريا... آه! نعم. إنها الغيرة القديمة... الشعور القديم الذي تحمله ضد إدي، فهو الابن الذي يحلم به والداها. الابن المغامر الذي كانا يتمنياه. أرادت أن تجعلهما فخورين بها لكنها لم تستطع، بينما تمكن هو من القيام بذلك من خلال حياته الطبيعية من دون أن يقصد ذلك حتى.

بالطبع، يشعر والداها بالفرح لأنهما يبيعان الشركة لإدي. هما ينظران إلى الموضوع كتسليم الشعلة للجيل المقبل، لكنهما لا يحسبانها منه...

إنها راشدة الآن، وعليها أن تتخطى أفكارها الطفولية. يجب ألا تكون لشخصية المشتري أي تأثير عليها.

ما يقوم به والداها بخصوص الشركة أمر يتعلق بهما فقط. إن كانا يريدان بيعها لإدي فلا يحق لها أن تتدخل.

لكنها لم تعد تستطيع أن تتراجع الآن، فالانسحاب ليس من شيمها.

طرقت نيكول على باب غرفة ماريا، ودخلت وهي تحمل كوباً من القهوة.

- صباح الخير.

- صباح الخير. لماذا تحضرين القهوة لي إلى السرير؟ هل قمت بإفساد لوحاتي الأصلية؟

أعطتها نيكول الكوب وهي تنظر نحوها باهتمام.

- أنت ترين نور الصباح الآن. أليس كذلك؟ لن تقومي فعلاً بخوض المغامرات التي تكلمت عنها بالأمس. أليس كذلك؟

- أخشى أنني سأفعل.

- آه، يا إلهي!

- لا يمكنني أن أتراجع الآن.

- تباً! هل تتكلمين بجدية؟

ارتشفت ماريا القهوة وهي مصممة على ما ستفعله.

- نعم، بجدية تامة. هل تريدين الانضمام إلي من أجل الدعم المعنوي؟ بإمكاننا الامساك بيدي بعضنا حتى تفتح مظلتينا... هذا إن فتحت.

- لا!!! سأشاهد هبوطك من الأرض، ثم سآخذ لك الزهور إلى المستشفى.

- إن لم تفتح المظلة لن تكون نهايتي في المستشفى.

- سآخذ الزهور إلى مقبرتك إذاً.

ارتجفت ماريا، وقالت: «نيكول... ! الأمر مخيف فعلاً!».

- إنه المزاح الأسود. كل المغامرين العظماء يتكلمون عنه. ستعتادين على هذا المزاح. إنها تقنية ضرورية للذين يواجهون المخاطر.

- آه... أحقاً؟ وما الذي تعرفينه أنت عن المغامرين؟

حملت نيكول سيرة حياة المغامر التي تلقتها ماريا كهدية من والديها بالأمس عن الطاولة، وقالت: «على الأقل هناك واحدة منا تقرأ هذه القصص».

* * *

قامت ماريا بما اعتادت أن تفعله كل صباح، ثم شقت طريقها بين

الناس كي تصل من موقف السيارات حتى المكتبة وهي بالكاد ترى ما حولها، فقد أخذت تنظر نحو السماء كأنها تتوقع هبوط قنبلة فوق رأسها في أي لحظة.

لكن لا... هي من ستهبط من السماء! كيف تراها ستفعل ذلك؟

أول أمر ستفعله هو الاتصال بوالديها كي تعرف من هو أفضل مدرب لديهما. كانت في ما مضى تعرف فريق العمل كله، لكنها ابتعدت كثيراً وهي بالكاد تعرف البعض منهم الآن.

إنها بحاجة إلى مدرب يتعامل بشكل جيد مع الهستيريا. إنه يوم الجمعة على الأقل، ولن يحدث شيء قبل يوم الاثنين.

من حسن حظها أن هذا اليوم مخصص لقراءة القصص، هكذا ستجد ما يلهي فكرها قليلاً. إن ساعة القراءة هي أفضل أوقات العمل بالنسبة لها، لاسيما اليوم لأنها ستقرأ قصة ماريوس للأطفال وتريهم الصور الأولية. الأمور تسير بصورة جيدة حتى الآن، فالأولاد مازالوا يأتون من أسبوع لآخر لسماع الجزء الجديد من القصة، بالرغم من أن صورة ماريوس لاتزال غير واضحة.

ماريوس لايزال يمثل مشكلة لها. لقد انتهت من رسم الخلفيات وجميع الشخصيات الأخرى، لكن شكل ماريوس لايزال مبهماً. حسناً! بما أن إدي برهن بأنه يستطيع المشاركة بروحه، ستتمكن أخيراً من رسمه على الورق. لكن الرسوم الأولية التي رسمتها بالأمس وهي جالسة في السرير لأنها لم تستطع النوم ليست كافية.

بعد الظهر رن جرس الهاتف، فردت ماريا بشكل تلقائي وهي لا تزال تنظر نحو رسوماتها غير راضية عن شكل البطل إدي... ماريوس.

- علينا أن نتكلم.

كادت السماعة تسقط من يدها، لكنها أوقعت القلم فقط.

- إدي؟!

- نعم.

- كيف حصلت على هذا الرقم؟

صمت قليلاً، ثم قال: «بالسحر الأسود بالطبع».

تنهدت ماريا، وقالت: «لا شك أنك أخذته من والدي. آسفة، لكنني لم أتوقع اتصالك».

- هل بإمكاننا أن نلتقي لشرب القهوة بعد العمل؟

عبست ماريا، فيما شعرت أنه أمر وليس سؤالاً.

- لماذا؟

استعادت القلم الذي سقط من يدها على الطاولة والغضب يراودها من جديد، لاسيما أن صوته لايزال ذا تأثير كبير عليها.

- أنت لست أفضل شخص في العالم بالنسبة لي الآن... تعلم ذلك.

صمت إدي لبعض الوقت من جديد، ما جعلها تندم على ما قالته. ثم قال لها أخيراً: «فهمت! هل أصبحت الآن ألعب دور الشيطان في قصصك؟».

- لا داعي للسخرية.

- في المقهى القديم في الشارع الشمالي.

- ماذا؟

- إنه يبعد بضع دقائق عن مقر عملك. أليس كذلك؟

- نعم، لكن...

- عند الساعة الخامسة؟

عضت ماريا شفتها وصمتت قليلاً، ثم قالت: «تتعامل معي كأنك المدير إدي. أنت تصدر لي الأوامر».

سكت قليلاً، ثم أجابها قائلاً: «حسناً! اختاري أنت المكان والزمان».

حركت عينيها محاولة ألا تعلق على كونه لم يفهم وجهة نظرها أو أنه تجاهلها على الأقل. لم يكن الأمر مسلياً. لا شيء في هذا الموضوع مسلٍ بالنسبة لها.

- حسناً! لا مشكلة. الشارع الشمالي عند الساعة الخامسة.

٤ - صديقان لدودان

توجهت ماريا إلى المقهى عند الساعة الخامسة والعشر دقائق بعد مغادرة المكتبة، إلّا أنها اصطدمت بإدي وهي في طريقها إلى هناك.

قال إدي: «آ. . . خ!».

ثم أخذ يفرك بيده فوق صدره حيث اصطدمت كتفها به، وتابع يقول: «إنه اعتداء مباشر. أنت لست غاضبة مني. أليس كذلك؟».

فكرت ماريا أنها لن تعتذر منه. لم يكن يفترض به أن يتواجد في طريقها. من المفترض أن يكون في المقهى بانتظارها هناك بصبر، بينما تتأخر هي في الوصول متعمدة. وحدقت به قائلة: «ما الذي تفعله هنا؟».

رمش إدي بجفنيه أمامها. حاولت أن تعبس في وجهه لكنها لم تستطع. في الواقع، هاتان العينان هما إحدى مشاكلها مع إدي. من الصعب أن تعبس بينما تشعر وكأنها تذوب من الداخل.

- أنا أحاول فقط أن أكون مهذباً، وأمشي معك نحو المقهى.

آه. . . أحقاً! لابد أنه أتى كي يوبخها لأنها لم تصل في تمام الساعة الخامسة كما أمرها.

حركت ماريا الكتب فوق ذراعها محاولة أن تخفي عناوينها.

- حسناً! إن كنت حقاً تريد التصرف كشخصٍ مهذب أنا أعرف ما الذي عليك أن تفعله.

- كلي آذان صاغية.

- بإمكانك أن تخبر والدي بأنك لا تريد أن تشتري الشركة.

أجابها إدي وهو يبدو آسفاً بشكلٍ صادق: «لا! لا يمكنني ذلك. أنا

آسف ماريا، لكنني بحاجة إلى الشركة. إنها مثالية لي، لكنك العائق الوحيد هنا فأنت تكبلين يدي».

رفعت ماريا أحد حاجبيها، وقالت: «أرى أنك لن تتراجع، كما أنني لن أتراجع. إذاً، لقد وقعت الحرب بيننا».

كشر إدي بأسف. وهز كتفيه قائلاً: «أعتقد ذلك».

- حسناً! إذاً لا أعتقد أننا بحاجة إلى الجلوس في المقهى. ليس هناك ما نتكلم فيه أكثر.

- أنت مخطئة. هناك أشياء كثيرة علينا التحدث عنها.

- مثل ماذا؟

- نحن صديقان قديمان. هناك العديد من الأشياء لنخبرها لبعضنا، كما أن هناك. . . دعيني أحمل كتبك.

كانت تريد وضع كتبها في السيارة قبل الذهاب إلى المقهى، فهي لا تريده أن يراها، إلّا أنها لم تتوقع أن تلتقي به هنا.

- لا! شكراً.

لكنه أجبرها على إعطائه الكتب، وبعد ذلك أخذ يقرأ العناوين. تباً!

بعد فترة من السكوت شعرت ماريا أنها دهر، قام إدي بتنقية حنجرته وقال: «فهمت الآن».

حاولت ماريا أخذ الكتب، لكنه تمسك بها جيداً.

- أعد الكتب إلي، إدي! أريد أن أتركها في السيارة.

وضع إدي يده فوق كتفها ليجعلها تهدأ، بينما تمسك أكثر بالكتب بيده الثانية كي يبقيها بعيدة عن متناولها، ثم راح يقرأ عناوينها بصوت مرتفع. قاومته ماريا بقوة وهي تشعر بالغضب الشديد.

- «حارب خوفك. . . برنامج يتألف من ٢٠ خطوة». ، «القفز من الطائرات: لأصحاب القلوب الضعيفة». ، «أنت واللاوعي: نوّم نفسك مغناطيسياً».

تباً. . . ! تباً. . . !

لماذا تشعر أن ملمس يده يبدو مريحاً فوق ذراعها حتى عندما يتصرف بقسوة معها ويجعلها تسترجع ذكرياتها حين كانت في الصف الرابع؟

حاولت مجدداً أن تسترجع كتبها ونجحت هذه المرة، فوضعتها مجدداً تحت ذراعها وهرعت إلى السيارة بأقصى سرعتها.

- أحاول القيام ببعض الأبحاث.

قالت له هذا وهي تضع الكتب في مقعد الركاب، ثم أوصدت الباب بقوة لم تكن ضرورية. لحق إدي بها، لكنه على الأقل لم يقل شيئاً. إنه أمرٌ غريب!

- إذاً، دعنا نصل إلى ذلك المقهى. سواء كنا سنتحدث أم لا، فأنا بحاجة إلى شرب القهوة.

مشت بسرعة كبيرة نحو المقهى، وبقي إدي بموازاتها، مع أنه بدا وكأنه يمشي ببطء.

بالطبع، فهو يملك رجلين أطول من رجليها وعضلات قوية تحت سروال الجينز الذي يرتديه.

- إذاً، أنت ما زلت مصممة على رأيك؟ أستقومين بذلك حقاً؟

من المفترض أن يكون الجواب سهلاً، لكنه علق في حنجرتها.

ابتلعت ريقها وهي تشعر بارتعاشة في جسمها لمجرد التفكير بأنها ستقوم بالقفز من الطائرة.

ضحكته أظهرت لها أنه رأى ردة فعلها. إنه يستمتع برؤية خوفها.

رفعت ماريا رأسها. قومت كتفيها، ووسعت خطواتها أكثر.

- نعم. آسفة لأنني خيبت أملك، لكنني سأقوم بذلك. و... نعم إنه أمرٌ مخيف، وأنا لا أشعر بالخجل من الاعتراف بأنني خائفة فهذا أمرٌ واضح. إنه أمرٌ مزعج قليلاً، لكنني سأقوم بالأمر بالرغم من ذلك.

- حسناً!

- الخوف هو أحد المشاعر الموجودة في داخلنا. قمت ببعض الرياضات المخيفة في حياتي، وسأتمكن من القيام بها هذه المرة. هذه هي الشجاعة.

أليس كذلك؟ أن تقوم بالأشياء حتى وأنت خائف.

- لكن لماذا تعرّضين نفسك لهذه المواقف؟ اعترفي بالأمر. أنت حتى لا تريدين تحمل مسؤولية الشركة.

كيف علم بهذا، بحق السماء؟!

- لن أدعك تأخذ شركة عائلتي.

صحح لها إدي قائلاً: «أشتري... أنا أشتري الشركة، ولست آخذها من أحد».

قالت وهي تلتفت من فوق كتفها بينما تفتح باب المقهى: «إنه لعب على الكلام ليس إلا».

أضاف إدي وهو يربت على كتفها للمزيد من التوضيح: «أنا أدفع ثمن الشركة سعراً عادلاً».

تغلغلت لمسته في جهازها العصبي بسرعة البرق.

تابع إدي يقول: «لذا، لا تقفزي إلى استنتاجات خاطئة مفادها أنني آخذ الشركة من أمامك».

وافقته ماريا مكرهة وهي تحاول بنظرها إيجاد طاولة شاغرة: «فهمت ذلك. لا عليك!».

إنه خطأ والديها. من المؤكد أن إدي يتفوه بالحقيقة، وليس هناك أي تلاعب بالنسبة للاتفاق، لكن والديها هما المشكلة الحقيقية. إنهما لا يثقان بها كي يسلماها إدارة الشركة، بل هما لا يريدانها أن تديرها أصلاً. إنهما يريدان إدي. تباً! إنهما متأكدة أنهما مستعدان لإعطائه الشركة من دون مقابل بدلاً من السماح لها بإدارتها.

إنه ليس خطأه! لكن من الأسهل أن تغضب منه لا من والديها.

جلسا إلى طاولة في زاوية المقهى بالقرب من نافذة تطل على الشارع، وبدأت ماريا على الفور بشرب فنجان القهوة الذي تحبه بشدة.

نظرت نحو إدي فالتقت عيناها بعينيه. فجأة شعرت بحرارة شديدة جعلتها تتحرك من مكانها. تذكرت ذلك اليوم الربيعي، تذكرت رائحة

الأشجار المزهرة والنسيم العليل والاحساس غير المألوف بوجه إدي بين راحتي يديها، حيث وقفت على رؤوس أصابعها والتصقت به و. . . عانقته.

حدّقت به ملياً. . . كانت رائحة القهوة لاتزال تملأ أنفها، إلا أن فنجان القهوة لم يعد يبدو مغرياً بالنسبة لها.

تحركت شفتا إدي بحركة بطيئة وهو يقول: «فكري معي ماريا. أريد الحقيقة. هل تريدين شركة «المغامرون الشجعان» حقاً؟».

رمشت ماريا عينيها بارتباك. للحظات طويلة شعرت كأنها لا تدري عما يتكلم أصلاً، لكنها عادت إلى أرض الواقع وعاهدت نفسها ألا تنظر مجدداً نحو شفتيه.

- بالطبع، أريدها.

- لماذا؟

- لماذا؟ لأنها كانت حلم جدي ثم حلم والديّ. إنها جزءٌ من تاريخ عائلتي، ولن أتخلى عنها.

راح إدي ينقر بأصابعه نقرات خفيفة فوق الطاولة وهو لايزال ينظر نحوها بجزم، ثم قال: «ماريا! أنت تخليت عن الشركة منذ زمن بعيد. لم تكوني جزءاً منها مذ كنت طفلة صغيرة. لديك مهنة مختلفة الآن وحياة مختلفة».

ثم انحنى نحوها إلى الأمام، وتكلم بحدّة قائلاً: «ماذا عن الكتب؟ لن تملكي الوقت لكتب الأطفال إن كنت تريدين إدارة الشركة».

- أهذا السبب أردت أن نلتقي؟ كي تقنعني بأنني لا أريد الشركة.

- لا!

- بلى! سيكون لدي وقت لكتبي أيضاً. سأجد الوقت. إنها فقط مسألة أولويات. أنا الآن أعمل بدوامٍ كامل في المكتبة، ومازلت أجد الوقت للعمل على كتبي.

توقف إدي عن النقر فوق الطاولة، وبدأ بشرب قهوته.

- إدارة شركة ما يختلف تماماً عن العمل في وظيفة عادية مدة خمسة أيام في الأسبوع، لاسيما شركة صغيرة لكنها مميزة مثل شركة «المغامرون الشجعان». سوف ترتبطين بها طيلة الوقت.

تباً! إنه محق. . . محقٌ جداً.

عبست ماريا وهي تزيح كوبها فوق الطاولة بيدها. إدارة الشركة تستهلك الكثير من الوقت، لطالما أمضى والداها أياماً وهما يعملان من دون أن يذوقا طعم النوم، وهما شخصان أما هي فستقوم بذلك بمفردها. بالإضافة إلى أنهما يستمتعان بهذا العمل أما هي فلن تفعل. لكن وضع الشركة أصبح أفضل الآن، وبإمكانها أن توظف أحدهم ليساعدها. قد تتمكن حتى من توظيف أكثر من شخص لتلك الغاية.

تمتمت وهي غير مدركة أنها تفكر بصوتٍ مرتفع: «من المزعج أن تكون وحيداً لدى أهلك. أتمنى لو أن لدي أخاً كي يمسك هو بأعمال الشركة».

أسند إدي ظهره إلى الخلف من جديد وابتسم، ثم قال: «آه! أخيراً قلت الحقيقة».

تنهدت وبدأت تقول: «إدي. . .».

- أنت لا تريدين حقاً إدارة الشركة.

- لم أقل إنني. . .

- أنت تشعرين أنك مجبرة على القيام بهذا. تشعرين أن من واجبك أن تلتزمي بأعمال الشركة رغم أنك لاتريدين ذلك. . . حتى لو لم يمانع والداك بالتخلي عن الشركة. إن لم يمانعا أن أدير أنا الشركة، لِمَ تمانعين أنت؟

- أسبابي ليست من شأنك. لن تحصل على الشركة، ومن الأفضل لك أن تنساها. لِمَ لا تبدأ بإنشاء عملك الخاص؟

- هذه كانت خطتي الأساسية، لكن السوق لا تتسع لشركتي مغامرات. سوف أضطر إلى مغادرة الولاية، أو الدخول في منافسة مع «المغامرون الشجعان». سيكون علي أن أتنافس مباشرة معك.

- هل أنت خائف من بعض المنافسة؟

لم يجبها إدي، بل اكتفى بالابتسام فقط.

- أنا أرحب بالمنافسة معك. لا مشكلة. أما إن لم تكن بالمستوى المطلوب للمنافسة، أعتقد أنه يجدر بك مغادرة الولاية.

- أنت حقاً متحمسة للتخلص مني. أليس كذلك؟

- إنه ليس أمراً شخصياً إدي. إنها الأعمال.

ضحك إدي، فتغلغل صوته في أعماقها وهز كيانها بأكمله.

تباً! ألم تقع في حبه أثناء مراهقتها، ثم عادت ونسيته؟ من المفترض أن يكون قد توقف عن التأثير بأعصابها منذ مدة طويلة... ليس من المفترض أن يؤثر عليها بعد الآن.

ارتشفت ماريا ما تبقى من قهوتها بسرعة. إنها بحاجة إلى الخروج من هذا المكان فوراً قبل أن يقوم إدي بحركة أخرى تحرك مشاعرها من جديد.

لقد أحضرها إلى هنا ليحاول إقناعها أنه يستحق الشركة أكثر منها... أما هي فكل ما تفكر به هو كيف سيكون ملمس بشرته بين يديها.

آه! حان وقت المغادرة. عليها الذهاب إلى منزلها لاستعادة عقلها.

قالت حالما شربت الرشفة الأخيرة من فنجانها: «حسناً! سررت بلقائك، لكن علي أن أذهب الآن».

- أحقاً؟ لمَ العجلة؟ هل ستذهبين إلى مكان ما؟

- إلى المنزل فقط.

- وصلنا للتو.

أمسكت يده برسغها قبل أن تتمكن من الوصول إلى معطفها، وراح يحرك إصبعه فوق نبضها. إنه بالتأكيد لا يقصد ذلك، وهو لا يعرف ما يفعله هذا بها. لكن، آه...! عليها الخروج من هنا فوراً.

أصر إدي قائلاً: «ابقي قليلاً بعد. علينا حقاً أن نتكلم».

أفلتت ماريا يدها من قبضته، ونظرت إلى ساعتها...

- لا! لا أستطيع. علي المغادرة... علي أن أطعم قطتي في تمام الساعة السادسة. إنه أمرٌ مهم جداً.

تطعم قطتها! من أين أتت بهذه الفكرة؟

ربما لأنها كانت تتساءل للتو إن كان شعر إدي أكثر نعومة من وبر القطة، ما جعلها تتذكر أنها وحيدة منذ فترة طويلة.

- ألديك قطة؟

- نعم، لدي قطتان. تدعيان ستورم وفلير. بإمكاني التحدث عنهما لساعات، وأنا لا أخجل بهذا. أنا أعيش حياة سعيدة وهادئة مع قطتيّ، وأستمتع بكل لحظة من حياتي. هل لديك تعليق؟

ظهرت ابتسامة فوق فمه وقال: «لا، سيدتي!».

- جيد.

- وهل أنت مجبرة على الذهاب الآن إلى المنزل كي تطعميهما في تمام الساعة السادسة؟

- نعم.

ربما من الأفضل ألا تشرح المزيد وإلا ستقع في المشاكل. لم يكن عليها أن تقول شيئاً منذ البداية أصلاً، فهي ليست مجبرة على تقديم التبريرات له، ولا يهم ما الذي سيفكر به.

لكن إدي فتح فمه ليتكلم، فذعرت ماريا وبدأت تقول: «ستورم مصابة بالسكري، لذا علي أن أطعمها بانتظام. إنها تحتاج إلى الطعام بشكل منتظم وإلا ارتفعت نسبة السكر في دمها، وعندها ستقع في المشاكل».

تصورت ماريا كيف ستتعب نيكول من الضحك حين تخبرها بهذه القصة.

تريد الذهاب إلى المنزل لتطعم قطةً مصابةً بالسكري؟!

التمعت عينا إدي، وقال: «فهمت... وأعلم أنك تكذبين».

ثم وقف وأمسك بسترته، ثم قال: «لا مشكلة. سنكمل مناقشتنا في المنزل».

المنزل؟! ما الذي يقصده؟

- انتهت المناقشة الآن. أنت تريد الشركة ولن تغير رأيك، وأنا لن

أتخلى عنها. ماذا هناك بعد لنتناقش فيه؟

أمسك إدي يدها، ومشى نحو باب المقهى.

- سنتكلم في المنزل، فالقطة بحاجة إلى الطعام أولاً.

آه، عظيم! هاهو الآن يمسك بيدها. بدت يده خشنة ومدغدغة فوق بشرتها. هل لاحظ أن يدها ناعمة جداً مقارنة بيده؟

حاولت أن تعترض قائلة: «لدي شريكة في السكن».

لا يمكنها أن تعرف ما الذي تقوله أو تفعله نيكول، فحين يتعلق الأمر بالرجال لا يمكن الوثوق بها. الرومنسية هي أكثر نقاط ضعف نيكول.

- إذاً؟

- آه...!

تستطيع التفكير ببعض الأعذار، لكن بعد القطة المصابة بالسكري لم تعد واثقة أن أعذارها ستنفع. عليها أن تعمل على تحسين تفكيرها السريع.

توقف إدي بجانب سيارته، وفتح لها الباب. لكنها ترددت، فرفع حاجبه وسألها: «ما المشكلة؟».

أشارت بيدها بعيداً، وقالت: «سيارتي هناك».

- أنت على عجلة من أمرك، وتريدين إطعام القطة قبل أن تصبح بحاجة ماسة إلى الأنسولين.

هزت ماريا رأسها. لم يكن أمامها خيارٌ آخر.

- حسناً! دعينا نذهب الآن، وسأعيدك إلى هنا لأخذ سيارتك لاحقاً بعد إطعام القطة.

- لكن...

- زميلتك في السكن؟

- نعم!

ترك إدي الباب مفتوحاً لكنه كتف يديه ونظر نحوها. ظهرت ابتسامة على وجهه: «ما هي المشكلة تماماً مع زميلتك؟».

- آه...!

- ألا تسمح لك باستقبال الرجال في المنزل؟

هاهي تلك الابتسامة من جديد! استسلمت ماريا وصعدت إلى السيارة من دون أي كلمة إضافية. انحنى إدي فوقها، وحدق بها. بدت عيناه داكنتين عن قرب، أما رموشه فبدت حريرية. إنها رموش ماريوس!

تأسفت ماريا لأنها لا تملك قلماً وورقة الآن كي ترسمه. قامت بتنفيذ بعض الرسومات بالأمس لأنها لم تستطع النوم، لكن الرسم من ذاكرتها لن يعطيها النتيجة ذاتها كما سيحصل لو أنه جلس أمامها. لكن، من المستحيل أن يحصل ذلك بعد ما جرى في الأربع والعشرين ساعة الأخيرة.

- ماريا؟!

- نعم؟

- أعدك أن أتصرف بتهذيب.

أغلق إدي الباب، أما هي فراقبته بينما اتجه إلى الناحية الأخرى من السيارة.

بالتأكيد سيقوم بذلك، وهي ستفعل ذلك أيضاً لكن لا يمكنها أن تتوقع مسبقاً ما سيجول في رأسه.

لكن، هل ستحسن نيكول التصرف؟

* * *

عندما وصلا كانت نيكول خارج المنزل!

وضعت ماريا سترتها فوق الكرسي، ولم تعرض عليه أخذ سترته.

- بما أننا شربنا القهوة للتو لن أعرضها عليك. ما الذي علينا أن نتكلم عنه؟

أجال إدي بصره في الشقة الصغيرة. بدت الغرفة مرتبة، لكن الطاولة بدت مغطاة بأدوات الرسم على شكل جبلٍ عملاق، فأخذ يحدق بها.

قالت ماريا لتبرر نفسها: «لم أكن أتوقع الرفقة. لدي هذه العادة بأن أجمع الأشياء في زاوية واحدة حين يأتي أحد للزيارة. نيكول فنانة أيضاً، لذا تملك كومة من أدوات الرسم».

- بعض الأشياء لا تتغير. أخبريني! هل مازلت تمضين ساعات وأنت واقفة أمام رفوف القرطاسية في المكتبات؟

- حسناً! الأمر يستحق العناء بالنسبة لي.

- وهل مازلت تتكلمين وأنت نائمة؟

- الأمر لا يعنيك.

- هيه... ! كنا نتشارك الخيمة معاً في صغرنا. نحن نملك روابط حميمة يصعب التخلص منها.

- هذا صحيح. اجلس، لكن أبعد القطة من جانبك أولاً.

فكرت برضى أنه سيخرج من منزلها وقد امتلأت ثيابه بوبر القطط إن جلس في تلك الزاوية. يبدو ذلك ممتازاً.

- الآن، أخبرني ما هو الأمر المهم الذي علينا التحدث عنه؟

- المغامرات... مغامراتك.

- ماذا عنها؟

- سنبدأ غداً.

سنبدأ غداً! شعرت ماريا بنذير شؤمٍ في جملته.

- عفواً؟

ابتسم إدي، وقال: «أنا مدربك الخاص».

لا! لا! لا! لا بد أنها لم تسمع جيداً.

قالت بصوت مرتفع: «لا! لا!».

أصبحت ابتسامة إدي أكبر وهو يقول: «بلى. أنا مدربك».

٥ - طائر البطريق

كما توقع إدي، لم يكن هذا خبراً ساراً بالنسبة لماريا. حدقت به فيما ظهر على وجهها الانزعاج ممزوجاً بالأمل، وكأنها تنتظره ليقول إنها مجرد مزحة.

لكن ذلك لم يحدث. لم يخبرها أنها مزحة. كتفت يديها، وأخفضت رأسها بعناد. تذكر إدي ردات فعلها المماثلة حين كانا صغيرين. عادة ما كان ذلك يترافق مع نوبة غضب قوية.

- لا!

- بلى.

- لا!

ساد الصمت بينهما للحظات طويلة.

- طلبت من والدك أن يجد لك مدرباً جيداً وقد اختارني أنا. أنت محظوظة. أليس كذلك؟

مد يداه نحوها، وغمزها.

ضيقت ماريا عينيها المليئتين بالشك.

- أهو من اختارك أم أنك تطوعت بنفسك؟

- الأمران معاً على ما أعتقد.

- ما الذي تعنيه؟

- قلت لوالدك إنني سأفعل ذلك، فقال لي: «بالطبع أنت من سيقوم بالأمر، ومن غيرك إذاً؟». وهكذا اتفقنا على الموضوع.

- لا يمكنه اختيارك أنت. ألا ترى التضارب في المصالح هنا؟ أنت

www.elromancia.com

تريدني أن أفشل.

- بالضبط! بهذه الطريقة سيتأكد والداك أنك حصلت على المعاملة القاسية المطلوبة. قد يقوم مدرب آخر بالنظر إلى عينيك البنيتين الجميلتين، ومن ثم سيعاملك معاملة الأطفال.

الالتماعة السريعة في عينيها أخبرته أنها لاحظت الاطراء الصغير بالرغم من غضبها. لكنه فقط يقول الحقيقة. لقد أسرته بعينيها منذ فترة طويلة... منذ ذلك اليوم في حديقة منزل والديها.

- تباً!

أخرجه تعليقها من ذكرياته الرومنسية. كانت يداها موضوعتين فوق جنبيها وقد بدت غاضبة جداً.

- أأنت ستكون مدربي؟

هزت ماريا رأسها وبدأ السلوك السيء يظهر عليها. تابعت تقول: «لا أصدق ما يحدث».

- حسناً! عليك أن تفعلي. أنا الآن أحد موظفي الشركة، وأنت مهمتي الجديدة.

سحب ورقة مطوية من جيبه وأعطاها إياها، ثم تابع يقول: «اتفقت على هذا مع والديك، وقد وضعنا خطة الجولة».

فتحت ماريا الورقة بحذر. ألقت نظرة واحدة على لائحة النشاطات التي كتبت عليها بخليط من خربشة خط إدي وأناقة خط والدتها، ثم قامت بوضعها في جيبها.

رفع إدي حاجبه، وقال: «ألن تقرأيها؟».

- بالطبع سيحصل ذلك، لكن برفقة مدرب آخر.

- آسف! والداك هما من وضعا قواعد هذه اللعبة، ولا يستطيع أحد منا تغيير ذلك. لست أنا المذنب هنا، لذا تعودي على الفكرة.

بعدئذٍ أخذ إدي يتكلم عن الأمور العملية آملاً أن يجعل ركبتاها تصطكان من الخوف. أخيراً قال: «هل تفضلين البدء برياضة معينة؟».

- نعم. لقد قررت ذلك منذ مدة طويلة.

رأى إدي تعابير وجهها تتغير بينما كررت له: «مدة طويلة... حسناً! قررت منذ الأمس. أريد البدء بالقفز من الطائرة».

ظهرت القوة على وجهها، لكنه شعر بارتعاشة صغيرة في صوتها. أطلق إدي صفيراً وقال: «آه... ! أحقاً؟ كنت أفكر في البدء بشيء أكثر سهولة».

- إن بدأت بهذه فلن تبدو الرياضات الأخرى صعبة بالنسبة لي، لكن إن بدأت بالرياضات السهلة فسأشعر بالخوف مما سيأتي بعدها. لذا من الأفضل أن أبدأ بأسوئها.

- حسناً! يبدو هذا منطقياً. ستتدرب على الأرض بضع مرات لأعطيك جميع المعلومات المطلوبة، ثم سنبدأ بالقفز الترادفي ونرى كيف تسير الأمور.

- قفز ترادفي؟

- نعم. هذا يعني أننا سنعلق معاً في الحبال نفسها، وأنا سأقوم بالعمل بينما تستمتعين أنت بالمناظر.

رأى ماريا تجلس بسرعة وكأن رجليها لا تستطيعان حملها. فكر إدي بتعاطف، مسكينة! ليس من العدل أن تعرض نفسها لهذا.

لهذا السبب بالذات هو موجودٌ هناك؛ ليتأكد أنها ستتراجع بسرعة. إدي يعرف أن ماريا لا تحب المرتفعات، لذا فإن هذه الرياضة هي أسوأ رياضة قد تفكر بها، لكنها تريد أن تبدأ بها... يحتاج ذلك الأمر إلى الكثير من الشجاعة! فكر إدي بإعجاب، بينما جلس بجانبها ووضع يده فوق كتفها آملاً أن يريحها قليلاً. ربما إذا فكرت أنه قام بذلك ٣٠٠ مرة ولم يحدث أي أمرٍ خطير يوماً، فستشعر أنها بأمان معه.

خائفة... لكنها بأمان. تماماً كما يجب أن تكون.

القفز الترادفي مع إدي!

أرسلت تلك الفكرة رعشات كثيفة في عمودها الفقري، لكنها ليست رعشات عدم ارتياح. لم تكن ماريا تفكر بارتدادهما فوق الأرض بل بتأثير أمر مختلفٍ تماماً. إنه أمر مستحيل نفسياً وجسدياً... هذا ما جعل ركبتيها

تضعفان، فاضطرت إلى الجلوس.

لم تتوقع أن يواسيها إدي، فيجلس بقربها، ويضع ذراعه حول كتفيها، ثم يخبرها أشياء تطمئنها. لقد افترض أنها خائفة جداً، ولم يعلم أن السبب هو أفكارها الغريبة. راح إدي يمسد شعرها، بينما أخذ يخبرها عن الاحصائيات حول القفز من الطائرات، والتي يفترض أن تساعدها على الاسترخاء. لكنها كانت تفكر بأشياء أكثر أهمية من القفز بالمظلة. كما أن قربه منها جعل الحرارة تتقد في داخلها.

هزت ماريا رأسها بقوة قبل أن يبدأ عقلها برسم المزيد من السيناريوهات. حاولت أن تفكر بجدول الضرب كي تتوقف عن التفكير بإدي. من الواضح أنها تحب المغامرة أكثر مما تعتقد.

قالت مقاطعة حديثه وقد أزاحت ذراعه عنها: «لا!».

سألها إدي: «لا؟ لماذا؟».

ردت ماريا بحزم: «أنا أعني ما أقوله. أريد مدرباً آخر. لا أريدك أن تدربني».

- لِمَ لا؟

- حسناً! لسبب واحد... لأن والديّ يريدان ذلك.

- أنت لا تريدينني... فقط كي لا تطيعي والديك؟ أليس هذا تصرفاً طفولياً؟

- ألا تدرك ما الذي يفعلانه؟ إنهما يدفعاننا نحو بعضنا البعض. إنهما لا يزالان يفكران في حل مشكلتين بزواج واحد. أنا حتى لا أريد الاقتراب منك كي لا أعطيهما أملاً بالأمر، لذا سيكون ذكاء منك أن تفعل مثلي تماماً. أمي مخلوق مخيف حين يتعلق الأمر بزواج شخصين.

ظهر الوقار على وجه إدي، لكن ابتسامة ظهرت في عينيه كما بدت التسلية واضحة في صوته: «لا تقلقي! أنا بأمان. أنا لا أتورط في علاقات عاطفية مع تلميذاتي».

- من الجيد أن أعرف هذا.

- أنا رجل صالح ماريا.

قالت لنفسها: «أنا متأكدة من هذا».

تابع إدي يقول: «لن تجدي مدرباً أفضل مني. أؤكد لك هذا. وأنا أشك في أن يدعك والداك تتعاملين مع غيري، لذا إما أن أكون أنا مدربك أو عليك نسيان الأمر كلياً».

عبست ماريا، إذ ما زال الأمر يصدمها. لماذا تدع الآخرين يتلاعبون بها؟

لأنها لا تملك أي ورقة رابحة، فيما يملك والداها وإدي كل الأوراق الرابحة. إنه مجال لعبهم، أما هي فدخيلة.

حسناً! لاتزال تملك ورقة واحدة... ستحاول التخلص من مساعدة إدي. إن كانت محظوظة فسيكون هو كارهاً للأمر مثلها تماماً.

- إدي، لِمَ لا تقول لوالدي إنك لا تريد هذه المهمة، وإنك مشغول جداً ولا تستطيع الاهتمام بي؟ هذا سيحل المشكلة.

الالتماعة التي ظهرت في عينيه خيبت أملها حتى قبل أن يجيبها: «لا! وقع الاختيار علي لأقوم بتدريبك، وهذا ما سأفعله».

- أنت تريد أن تشهد إذلالي. لماذا تريد هذا؟

قوّم إدي ظهره إلى الخلف، وأخذ يراقبها مبتسماً.

- لا أعرف تماماً. ربما ذلك تصرف طبيعي تجاه أختي الصغيرة.

- أختك الصغيرة؟ أرجوك، إدي!

نعم. هذا بالتحديد ماحاولت قوله لنفسها بالأمس، لكن هذه الدقائق بقربه على الأريكة أكدت لها أن من المستحيل أن تشعر بنفسها كأخت إدي الصغيرة. وهي بالتأكيد لا تريده أن يشعر هكذا أيضاً.

ابتسم إدي، وقال: «ربما ليست المسألة... أختي الصغيرة، لكن في مطلق الأحوال لا تعجبني فكرة أن تقومي بالقفز الترادفي مع شخصٍ آخر...».

آه! ولماذا لا يريد ذلك؟

تابع يقول: «. . . شخص لا يعرف ما الذي يقوم به».

آه! بالطبع، هذا كل ما في الأمر. إنه يهتم لسلامتها. ليس الموضوع أنه لا يريدها أن تكون معلقة في الهواء في وضع حميم مع شخصٍ آخر. أغمضت عينيها لكنها بقيت أمامها. يبدو أن مخيلتها تصبح مزعجة في بعض الأحيان. ربما تكون هذه عملية دفاعية. ربما يحاول عقلها إبعادها عن الخوف الحقيقي من مستقبلها القريب، وربما أوهامها الجديدة لا تتعلق بابتسامات إدي وصوته الملفت اللذين يستحوذان على تفكيرها.

- هناك الكثير من المدربين الممتازين في الشركة. أنا حقاً لا أريد المساعدة من الشخص الذي يريد سرقة شركة عائلتي.

صحح لها مجدداً: «يشتري! أخبرني والداك أنهما يريدان إعطاءك حصتك من المال، وهو مبلغ طائل كما تعرفين. سوف تتمكنين من تغطية مصاريف هوايتك في الكتابة لفترة طويلة».

صرّت ماريا على أسنانها وحاولت أن تتوقف عن الغليان.

- لن تحصل على الشركة. بإمكانك التوقف عن الحلم بذلك. سأقوم بتنفيذ ما طلبه والداي وأستعيد الشركة، وسينتهي الموضوع.

- وماذا بعد ذلك ماريا؟ سبق واعترفت أنك لا تريدين الشركة.

إنه محق. إنها لا تريدها. لا تريد إدارة أي عمل. إنها تريد كتابة القصص. كل المغامرات التي تريدها في حياتها باستطاعتها عيشها مع ماريوس وغيره من الأبطال الذين تبتكرهم من خيالها.

نظرت خارج النافذة. بدت الغيوم معلقة في الهواء على ارتفاع منخفض. ارتعدت لمجرد التفكير برمي نفسها بسرعة قوية عبرها. لماذا تريدُ القيام بهذا؟

- ما خطبك؟

كان إدي ينظر إليها عن قربٍ شديد.

- لا شيء.

- أنت خائفة ماريا.

- بالطبع أنا خائفة. هذا ليس أمراً جديداً! هذا جزء من المغامرة. أليس كذلك؟ لكنني سأتخطى الخوف. أحضرت كتاباً من المكتبة، أتذكر؟ أحببت الجزء الأول من الكتاب. بدأوا بالقول: «كلنا سنموت من القفز». ويبدأ المقطع الأول بالقول: «إنها مزحة!». لذا أنا واثقة من أن الأمور ستسير على ما يرام.

أمسك إدي بيدها، وحين لمست يده بشرتها أدركت أن بشرتها باردة جداً. التوتر جعلها تبرد. لكن إدي حرك شيئاً ما بداخلها جعلها تشتعل بدلاً من أن تتجمد من البرد.

- دعيني أساعدك.

أبعدت يدها عنه، وقالت: «سبق وقلت لك إنني لا أريد مساعدتك. سأتكلم مع والديّ بالأمر. لاشك أن هناك العديد من المدربين الحاضرين لمساعدتي».

- أنا أفضلهم.

- من الجميل أن تثق بنفسك إلى هذا الحد. إنه أمر جيد لك.

- إنه واقع وليس غروراً. أنا لدي الخبرة الأوسع. أنت بأمانٍ أكثر برفقتي.

كررت ماريا بعناد: «أريد شخصاً آخر».

كلما كان الوقت الذي سيخرج به إدي من حياتها قريب كلما كان الوضع أفضل.

تنهد إدي، وقال: «ماريا، أرجوك. . . ! دعيني أساعدك».

- لا، إدي! أعتقد أنك غير معتادٍ على سماع كلمة لا. ابحث عنها في القاموس.

لم يزعجه الأمر، وعوضاً عن الوقوف ليغادر بدأ باللعب مع فلير التي بدت سعيدة في السماح له بدغدغة بطنها.

- بإمكانك أن تقولي لا ماريا، لكنه ليس قرارك ولا قراري. سنقوم

بذلك معاً سواء أعجبك الأمر أم لا.

- لا، لن نفعل! لن أسمح بحدوث هذا!

أمال إدي رأسه جانباً، وبدا معتداً بنفسه. ما الذي سيحدث الآن؟ التقت نظراتهما، فابتسم وقال: «الأمر يتعلق برحلة النيبال أليس كذلك؟».

- النيبال؟ ما الذي تتحدث عنه؟

- أنت ما زلت تشعرين بالانجذاب إلي. لهذا السبب تريدين أن تبعديني.

يا له من متعجرف مغرور!

- أنا لست...

اختارت نيكول تلك اللحظة لتصل إلى المنزل.

- ها قد وصلت!

فتحت الباب، ووقفت مكانها مصدومة تحدق بإدي. غمزت ماريا لتأخذ موافقتها على الدخول من دون أن تدرك أنها غاضبة، ثم ابتسمت لإدي.

- مرحباً! من أنت؟

تركتهما ماريا ليتعارفا، وراحت تراقب نيكول وهي تحاول جذب إدي. أخيراً لم تعد تحتمل الأمر، فاعتذرت منهما وأخذت صديقتها إلى المطبخ.

- تصرفي بتهذيب.

- أنت محقة تماماً! إنه جذاب. كل ما فيه يبدو جميلاً.

- لا تقتربي منه!

ابتسمت نيكول، وقالت: «آه! لماذا؟».

- لأنه العدو. ومن المفترض أن تكوني صديقتي أنا.

- أو ربما لأنك تريدينه لنفسك.

- لا! أنا لا أريده. أخفضي صوتك.

- آه! لا تقلقي. لن يستطيع سماعنا وتلك القطة تموء في أذنه. إذاً، لماذا أنت برفقة العدو؟ ليس علي أن أسأل بعد أن رأيته...

- آه، اصمتي! والداي يريدانه أن يكون مدربي. هل تصدقين هذا؟

- أنت محظوظة! ودعيني أحزر... أنت ترفضين ذلك من أجل المبادئ.

- نعم.

- لماذا؟ أنت بحاجة إليه.

- أحتاج إليه؟! لا، أنا لا أحتاج إليه. ما الذي تتكلمين عنه بحق السماء؟ لِمَ قد أحتاج إليه؟

- أنتِ مازلت تواجهين تلك المشكلة مع ماريوس. أليس كذلك؟

- آه... هذا؟

- نعم، هذا. أخبرتني بالأمس أنه سيكون الشخصية المناسبة.

- حسناً! نعم.

- وفي الصباح رحت تشتكين أن الرسم من ذاكرتك ليس جيداً. ألست محقة؟

- نعم.

- إذاً، أنت تحتاجين إلى إدي كي ترسمي ماريوس.

- نوعاً ما.

نعم، إنها تحتاج إليه.

- أنت تقتربين من موعد تسليم الرواية، لذا لن تتمكني من تضييع المزيد من الوقت. هل أنا محقة؟

- تباً! نعم.

ابتسمت نيكول ابتسامة عريضة: «هذا ممتاز. أليس كذلك؟ إن سمحت له بمساعدتك في المغامرات سيكون لديك متسعاً من الوقت كي ترسميه. ستحلين مشكلتين. كل ما عليك فعله هو البقاء برفقته لفترة».

عانت ماريا لتجعل المنطق والعواطف لديها تلتقي. إنها لا تريد أن

www.elromancia.com

يقترب منها إدي أثناء التدريبات، لكن نيكول محقة. إن لم تقبل بذلك بسرعة ستبقى شخصية ماريوس بالانتظار، وستقع في المشاكل.

- لا أعلم...

- أعطه فرصة!

- نيكول... قلت له للتو إنني لن أفعل ذلك حتى تتجمد نار الجحيم.

أمسكت نيكول بكتفي ماريا، وجعلتها تستدير. ثم وضعت راحة يدها على ظهرها ودفعتها إلى الأمام.

- حسناً! اذهبي وأخبريه أن نار الجحيم أصبحت أكثر برودة. اذهبي! وإن لزم الأمر قومي بالتمايل أمامه لإغرائه. سأدخل إلى غرفتي وأقفل الباب، لذا كوني حرة في التصرف. لن أخرج إلا بعد أن يخلو المكان. أعدك!

- نيكول...!

اختفت صديقتها في غرفتها، وأغلقت الباب خلفها. تنهدت ماريا، وعادت إلى غرفة الجلوس.

أصبحت القطتان الآن تتنافسان للتأثير به، وأخذتا بالمواء. راقبته ماريا بينما كان يداعب فلير بأصابعه الطويلة فوق رقبتها وشعرت بارتعاشة ما بين كتفيها. رائع! هل أصبحت الآن تغار من قطتيها؟

- هل تصادقت معهما؟

شعرت ماريا بالرضى لرؤية سرواله ملياً بوبر القطط. لا يزال هناك بعض العدل في العالم.

نظر إدي نحوها، وحاولت من جديد أن تسيطر على أفكارها الخيالية.

مازلت تشعرين بالانجذاب إلي!

لا... هي ليست كذلك. حسناً! إنها كذلك لكنها لا تريد هذا الأمر، ما يوصلها إلى النتيجة نفسها. هناك بقايا من المشاعر التي يجدر بها أن تتخطاها. إنها مشاعر غير ناضجة، أما هي فقد أصبحت راشدة الآن وعليها التحكم بتلك المشاعر.

- يبدو أن قطتيك بدأتا تحبانني. هذا أمر غريب، فأنا لست من الأشخاص الذين يقتنون القطط.

بدا متخلياً عن الهجومية، ومع أنها أرادت أن توضح بعض الأمور لكنها لم تكن تريده أن يتكلم عن النيال مجدداً.

- لهذا السبب تحبانك. هذا هو هدف القطط، فهي لا تريد أن يقتنيها من يحب القطط بل تريد أن تعيش مع شخص تشتري عطفه بنفسها.

هذا جيد! القطط موضوعٌ محايد.

- نعم.

- حين تريدان لفت انتباهي تتركان طبعات أقدامهما على لوحاتي، ثم تقومان بالمواء علي حين أصرخ في وجهيهما إلى أن استسلم وأسامحهما، فتأتيان لتحصلا على حكة ظهر كي أعتذر عن الصراخ. لكن حين أحتاج أنا إلى الحنان، وأكون بحاجة ماسة إلى ذلك أجدهما حولي. إنها علاقة أنانية نوعاً ما.

حاول إدي التخلص من بعض الوبر عن سرواله، لكنه استسلم: «بالحديث عن رسوماتك هل بإمكاني رؤيتها؟».

- ربما، لاحقاً.

ابتسم إدي، لكن ذلك لم يعجب ماريا. وحين أصبحت الابتسامة أعرض بدا أنه يخطط لشيء ما. لكن ما هو؟

- إذاً... هل تجمدت نار الجحيم؟

آه!

الهجوم هو أفضل وسيلة للدفاع: «هـمم... فهمت! إذاً لقد سمعتنا».

- نعم.

لم تستطع قراءة تعابير وجهه. ما الذي سمعه بالضبط؟ هل سمع كل شيء؟

- حسناً! أنت تعلم أن نيكول تراك جذاباً.

- نعم.

ابتسم وبدت ابتسامته مخيفة. انتظرت ماريا قليلاً كي تسمع تعليقه بأن هناك شخص آخر يراه جذاباً. قال لها: «أشعر بالاطراء، لكن ما يرضيني أكثر هو حاجتك إلي».

- أنا لا أحتاج إليك. هناك الكثير من المدربين الجيدين...

- أنت تحتاجين إلي من أجل الكتاب.

لم تستطع ماريا الكلام، لكن إن كان هذا يعفيها من التكلم عن رحلة النيبال فلا بأس. رفعت يديها مستسلمة، وقالت: «حسناً! نعم، لقد فزت. أنا بحاجة إليك».

- أحب سماع هذا عزيزتي.

- أنت سترميني من الطائرة وأنا سأرسمك. ليست مساومة متعادلة، لكنني سأتعايش مع الأمر. اتفقنا؟

- ماذا عن الجزء المتعلق بالتمايل أمامي؟

- لا تتفاءل كثيراً.

- ولا حتى جزءاً صغيراً؟

- سمعك قوي جداً.

دفع بإحدى القطتين بعيداً وانحنى قليلاً، ثم مدّ يده للمصافحة قائلاً: «اتفقنا! أنا أصبح بطل قصتك، وأنت تصبحين مغامرة».

نظرت نحو يده وتذكرت ردة فعلها حين لمسها آخر مرة، فقالت له: «أفضل ألا تلمسني فأنت مليء بوبر القطط».

أمسكت بدفتر رسم من بين الأغراض الموجودة على الطاولة، لتغير الموضوع قبل أن يسألها كيف يمكن لمن يربي القطط أن ينزعج من وبرها؟

- ما رأيك لو أنفذ بعض الرسومات لك كي نؤكد الاتفاق؟

- بالتأكيد. ما الذي علي القيام به؟

- ليس الكثير. أنا فقط أريد النظر إليك قليلاً، ثم أرسم قليلاً. هناك شيء فيك يناسب بطل قصتي... يصعب شرح هذا. سأحتاج ربما...

إلى ساعتين كي أتمكن من نقل معالم وجهك وتعابيره إلى الأوراق.

- إنه الشخصية الأساسية أليس كذلك؟ إذاً تريدين أن ترسمي البطل ماريوس على شكلي أنا؟

لقد تذكر اسم بطلها! أعجبت ماريا بذلك.

- نعم. حسناً... ! نوعاً ما. لن يدرك من يرى الصورة أنه أنت. دعنا نقول... روح المغامرة. هذا ما أحتاج إليه.

حرك إدي عضلات يديه، وقال: «أتظنين أنني أملك روح التنين الشجاع؟ هذا رائع».

ضحكت ماريا وجلست كي تبدأ بالعمل، وهي تتساءل كم سيشعر إدي بالأطراء لو عرف حقيقة ماريوس بالكامل. لن تستطيع إبقاء الموضوع سرياً لوقت طويل، فهو سيطلب رؤية الصور وسيصعب عليها رفض ذلك.

كتف إدي يديه ليشعر بالارتياح، ثم قال: «حسناً! أخبريني عن ماريوس كي أستطيع لعب الدور جيداً».

نعم. عليها أن تفعل هذا.

نظرت ماريا إلى كل مكان باستثناء وجهه، لكنها استسلمت أخيراً لأن هذا هو الجزء الأهم. ابتسمت ابتسامة شريرة حين نظرت إلى عينيه، ثم قالت: «ماريوس هو البطل. يملك الصفات التقليدية التي يملكها الأبطال. إنه طيب ومتحمس جداً للأمور التي يؤمن بها».

- يبدو الأمر جيداً.

- إنه يعمل بجهد، ويملك قلباً كبيراً.

- إنه يشبهني فعلاً.

- لقد بدأ للتو بالأعمال البطولية. لم يصبح واثقاً من نفسه بعد. إنه مبتدئ، لكنه يتعلم التعلق بالحبال. حين يسقط ينهض من جديد ويتعلم من أخطائه...

- هذا جيد له.

www.elromancia.com

- و...

أخذت ماريا نفساً عميقاً، ثم تابعت تقول: «...إنه... طائر بطريق».

٦ - ما وراء الكلام

ساد صمت طويل بينهما، فيما راحت ماريا تحرك قلمها فوق الورقة من دون أن تلتفت نحو إدي لفترة طويلة. تحرك إدي في مكانه، ثم انحنى إلى الأمام. ظلت تحاول تجنب النظر إلى عينيه، لكن ابتسامة صغيرة ظهرت على زاوية فمها من دون قصدها.

- طائر بطريق؟

لم تستطع منع نفسها من الابتسام وهي تقول: «نعم، طائر بطريق».

- تريدينني أن أكون نموذج...

كرّرت وهي تحاول أن تبدو جدية: «طائر بطريق».

- ...طائر بطريق.

- نعم.

أخيراً نظرت نحوه لتراه يعبس في وجهها قبل أن يقول: «أنا سعيد لأن أحدنا على الأقل يجد الأمر مسلياً. قد أمثل نمراً، تنيناً، ديناصوراً أو حتى... مخلوقاً فضائياً، لكن طائر بطريق؟».

عضت ماريا خدها من داخل فمها كي تمنع نفسها من الضحك، لكنها فشلت.

- حسناً، إدي! إنه بطريق محترم جداً.

- همم... أنت تسخرين مني. أليس كذلك؟ والأسوأ من ذلك هو أنك تريدين فعل ذلك أمام العالم كله.

- العالم كله؟ أتمنى ذلك. استمر بالعبوس... أريد رسمك وأنت عابس. إنه مشهد ممتاز للصفحة الثانية عشرة.

www.elromancia.com

- وما الذي يحدث في الصفحة الثانية عشرة؟

- اصمت. . . أنا أركز. بإمكانك قراءة القصة لاحقاً حين تنشر.

- وهل ستعطيني نسخة؟

- بإمكانك شراء واحدة. أحتاج إلى كامل المبلغ المخصص للكاتب. اعتبره عملاً خيرياً.

- ما رأيك لو نبدأ أول تدريب للقفز الأسبوع المقبل في مثل هذا اليوم؟

اهتز قلمها وبدأ يرسم بقعاً سوداء فوق وجه ماريوس. أطلقت ماريا شتيمة ومزقت الورقة.

- إدي. . . أرجوك لا تتكلم عن القفز وأنا أعمل. اتفقنا؟

- حسناً!

صمت إدي بعد ذلك، لكن الوضع لم يعد مريحاً كالسابق لأنه أخذ يحدق بها ما جعلها تشعر بالاحراج كلما نظرت نحوه.

سألته: «هل أنت بخير؟».

- بالطبع. فالجلوس هنا والنظر إليك ليس أمراً مزعجاً.

- هل تغازلني؟

لطالما تاقت ماريا في ما مضى لأن يغازلها، لكنها الآن لا تعرف شعورها حيال الأمر. كان من المفترض أن يزعجها ذلك لكنه لم يفعل، إلّا أنه بدا مشتتاً لأفكارها ومخدراً لها. قد تبدأ في أي لحظة بالقهقهة الآن. . .

- هل بإمكاني رؤية الصورة التي رسمتها؟

- أمِن الضروري أن تفعل؟

- نعم. ولمَ لا؟

- لأنني أريد أن أرسمك لاحقاً أيضاً.

- آه، يا إلهي! أهي سيئة إلى هذا الحد؟

- لا، ليست سيئة. لكنني لست واثقة إن كنت مستعداً لرؤية نسخة طائر البطريق منك. أعني. . . أنت شاب، ولديك غرورٌ كبير. أليس كذلك؟

رمقها إدي بنظرة جانبية، ثم وصل إلى دفتر الرسم لكنها أبعدته عن طريقه.

- انتظر حتى أشرح لك أمراً ما.

- اشرحي بسرعة.

- بعض الناس لا يفهمون لماذا أطلب منهم الجلوس كي أرسمهم. أريد أن أرى شخصيتهم وليس مظهرهم. . .

طقطقت بأصابعها فوق الصورة، وتابعت تقول: «. . . لذا عليك أن تعلم أنه لا يبدو شبهك أبداً، وليس هذا هو المطلوب. أنا الوحيدة القادرة على رؤية التشابه. . . ربما لأنني غريبة الأطوار».

- حسناً، فهمت! والآن دعيني أرى.

- لا أحد سيعرف أنه أنت. أنا فقط أحتاج إلى رسم تعابيرك وطريقة جلوسك وأشياء كهذه. . . لذا فالصورة لا تمثلك.

- ماريا. . . ! فقط دعيني أرى الصورة! سأكون قوياً بما يكفي. أعدك بذلك.

- حسناً!

حاولت ماريا تمرير الصورة له من فوق الطاولة، لكنه كان أسرع منها فقام من مكانه ليجلس بقربها على الأريكة نفسها.

راح إدي ينظر إلى صورة ماريوس، ثم قال: «هل يفترض أن يكون هذا أنا؟».

ظهرت على الورقة صورة بطريق فخور يمشي عبر ممر في الغابة وهو يحمل خنجراً في يده، فيما بدت حوله مخلوقات الغابة الخطيرة التي أخذت تنظر إليه من خلف الأشجار.

- لا! ألم تسمعني؟ هذا ليس أنت، لكنه يمثل جزءاً من شخصيتك وروحك. هذا لا يعني أنه يشبهك، بل هو فقط يشاركك صفات غير ملموسة.

ضحك إدي وقال: «أنت بارعة. أنا واثق من هذا، لكن. . . أن يكون

هذا أنا . . . !».

تأوهت ماريا وضربته بحامل دفتر الرسم، ثم قالت: «أنت لا تستمع إلى كلمة مما أقوله. أليس كذلك؟ تماماً مثل والديّ».

وضع إدي ذراعه على ظهر الأريكة واقترب منها، ما جعلها ترجع إلى الوراء قليلاً وتتمنى الحصول على حمام بارد.

آه! لم تعد الأمور تسير بشكل جيد؛ ظهرت تكشيرة على وجهه، وأصبح قريباً جداً منها.

- أخبريني ماريا! ما هو وجه الشبه بيني وبين هذا البطريق؟ أهي طريقة المشي. . . أم الأجنحة؟

كان الوقت متأخراً من النهار، لذا أخذت شعيرات لحيته تكافح للوصول إلى بشرة ذقنه، لكنها لم تنجح مع أنها بدت قريبة جداً. لم تعلم ماريا لما شعرت أن الأمر جميل بطريقة ما، فلم تستطع إبعاد نظرها عنه.

- آه، فهمت! لابد أنه ذقني. . . وفي عالم طيور البطريق ذلك هو منقاري.

رفعت نظرها نحو عينيه، لكن ذلك لم يساعدها كثيراً. في الواقع. . . لم يساعدها ذلك مطلقاً. قالت: «أنت لا تذكرني بطائر البطريق، لكنك تذكرني ببطلي ماريوس الذي يصادف أنه . . .».

- بطريق!!

هزت ماريا رأسها: «نعم. . . بطريق، لكنه بطريق شجاع ومحترم وجميل. يحارب التنين والوحوش كي ينقذ الفتاة التي يحبها».

- وهل تلك الفتاة طائر بطريق أيضاً؟

- لا! فيولا هي بجعة.

رفع إدي حاجبه، وقال: «بجعة؟ ماريوس البطريق لديه حبيبة بجعة؟ آه. . . ! هذا مؤثر. لابد أن ماريوس. . .».

- بطريق!

هز إدي رأسه وبدت الجدية على وجهه، إلا أن بضعة خطوط حول

عينيه أظهرت سخريته: «نعم. . . بطريق».

- ماريوس يعاني من الاكتئاب لأنه يمر بوقت عصيب، فهو يريد أن يجعل فيولا تشعر بحبه. كما تعلم، هي بجعة في النهاية، ورأسها يرتفع كثيراً فوق رقبتها الطويلة.

- نعم. تشكل تلك أزمة كبيرة لبطريقنا المبجل.

أومأت ماريا موافقة، وقالت: «بالضبط. ماريوس يشعر أنه أدنى منها بكثير، فنظر فيولا مرتفع نحو السماء وهي لا تنظر أبداً نزولاً».

عبس إدي فجأة وانحنى كي يحدق في رسم ماريوس، ثم سألها: «صححي لي إن كنت مخطئاً، لكن أليس من المفترض أنه بطريق من نوع الامبراطور؟».

- الامبراطور؟

- هذه الرقع تحت عينيه. . . إنه بطريق من نوع الامبراطور.

- آه. . . ! نعم.

مهما يكن، إنه بطريق. لكن إن كان إدي يريد أن يعطيه تصنيفاً علمياً، فليكن.

- في هذه الحالة، هناك مشكلة.

- مشكلة؟ ما نوع تلك المشكلة؟

- البطريق الامبراطور كبير الحجم.

- ماذا تقصد؟

- إنه أكبر نوع من البطريق، وهو أكبر حجماً من البجع.

زمت ماريا عينيها وقالت: «لا».

- ما قصدك بكلمة لا؟

- لا. ماريوس ليس أضخم من فيولا.

- سبق لي أن رأيت طيور البجع عن قرب وكذلك البطارق من نوع الامبراطور. أعترف أنني لم أرَ بطريقاً يغازل بجعة يوماً، لكنني متأكد أن البطريق الامبراطور أكبر من. . .

لن تسمح له بأن يخرب كتابها بأكمله ببعض الوقائع العلمية: «البطريق ليس أكبر من البجعة».

- لكن...!

- ليس في كتابي. هل هذا واضح؟

غير إدي الموضوع بذكاء: «مسكين ماريوس... إنه حب من طرف واحد. لكنه سينقذها من التنين الشرير في جميع الأحوال. أليس كذلك؟».

- بالطبع! ماريوس يحب التحدي. إنه يأمل أن تلاحظ حبّه بعد أن ينقذها من نار التنين.

أومأ إدي بجدية، وقال: «هذا افتراض جيد. إنقاذ فتاة من نار التنين يعتبر أمراً بطولياً».

- لكن هناك حيلة.

- أحقاً؟

- نعم. فيولا تحب التنين كثيراً، وتعتقد أنه جميل بريشه الملون.

- فهمت! نار التنين تهدد بتحويل البجعة إلى شواء: أمر خطير؛ إنقاذها من قبل البطريق الذي يحبها: أمر بطولي؛ الوقوع في حب التنين: أمر سيء... إنها حبكة موفقة... دراما... مثلث حب... هل أنت واثقة أنها قصة ملائمة للأطفال؟

- من الأفضل أن تكون كذلك، فقد أنهيت كتابتها وموعد التسليم يقترب، لكن لايزال هناك بعض التفاصيل المتعلقة بماريوس.

اتكأ إدي إلى الوراء، ما سمح لها بأن تتنفس بشكل أفضل وقد ابتعد عنها قليلاً: «أخبريني القصة! لماذا تقع البجعة في المشاكل أصلاً؟».

قلبت ماريا في دفتر الرسم مجدداً لتريه رسومات أخرى، وقالت: «فيولا تقوم برحلة بحث بمفردها. إنها تبحث عن أجمل نوعٍ من الريش، وهي تعتقد أنها لن تجده إلا عند ذلك التنين. لذا...».

- انتظري!

- ماذا؟

- هناك مشكلة أخرى.

- ماذا الآن؟

- لا يملك التنين ريشاً.

أغمضت ماريا عينيها، وتمنت أن تستطيع الحصول على المزيد من الصبر: «هل أنت من يخبر القصة أم أنا؟».

- أنا آسف... لكن التنين لا يملك ريشاً. أنا واثق من هذا.

- أحقاً؟ هل سبق لك أن رأيت تنيناً أيضاً؟ أظنك رأيته يلعب مع البطريق الامبراطور في أنتراكتيكا. أليس كذلك؟

- ليس بالضبط، لكن...

حدقت ماريا به، وقالت: «التنين مخلوقٌ أسطوري، وليس هناك قواعد محددة لمظهره. بإمكاني أن أرسم واحداً يملك لحية باللون البرتقالي، وألبسه النظارات إن أردت».

- لكن...

قاطعته ماريا وهي تلاحظ وميضاً ماكراً في عينيه: «على أي حال، تقوم فيولا بمغامرتها الخطيرة للبحث عن التنين بمفردها. نحن نتكلم هنا عن كل المواجهات الخطيرة، المغاور المعتمة التي تمر عبرها الأنهارٌ الباطنية، الغابات الكثيبة، الممرات الجبلية الخطيرة، وبالطبع... التنين الشرير».

- فهمت! الفتاة في خطر، وهي تحتاج إلى بطل في حياتها. لكن لماذا تريد الوصول إلى ذلك التنين؟

- من أجل الريش! التنين لديه ريش. لكنني لم أعرف بعد السبب الذي يدفعها للتفتيش عن الريش.

قلّبت أوراق الدفتر حتى وصلت إلى رسم جميلٍ لفيولا، ثم تابعت تقول: «أنا أجد صعوبة في إيجاد النهايات الملائمة، لكنني في النهاية أستطيع تدبر أمري قبل التسليم. على أي حال، هذه هي صورة فيولا».

- إنها جميلة! أنت بارعة حقاً.

جعل المديح قلبها يشعر بدفء كبير بينما أخبرها صوته أنه يعني ما

يقول، لكنها هزت كتفيها وقالت: «إنها فقط إحدى الرسومات الأولية. سوف تبدو أفضل بالألوان، وكذلك أنت... أعني ماريوس».

- أتعلمين؟ أنا أشعر بالاطراء لأنني ألهمتك في رسم ذلك البطريق.

ضحكت ماريا، وقالت: «أنا آسفة. لست أدري ما الذي وجدته فيك. إنه أمر مبهم».

- هل أنت واثقة أنه ليس علي القيام بشيء معين؟ ظننت أنك ستطلبين مني أن أمشي قليلاً كالبطريق أو أن أرتدي بذلة.

ابتسمت ماريا، وأخفت وجهها وراء دفتر الرسم: «إدي! هل ستتمكن من تخطي عقدة البطريق لاحقاً؟».

- لا! لا أعتقد ذلك. هل سأحظى بكتاب موقع منك؟

- بالتأكيد! أنت تشتريه وأنا أوقعه لك. حتى إنني سأكتب إهداء عليه: «إلى إدي... بطريقي العزيز».

فتحت ماريا صفحة جديدة من دفترها، وبدأت بالرسم بسرعة كي تنقل ابتسامته لكن بالنسخة الخاصة بالبطريق. بدت شفتاه أكثر جمالاً من منقار البطريق، لكنها عملت باحتراف وتمكنت من التحكم بنفسها: «ممتاز! عرفت أنك ستكون مناسباً تماماً لهذا».

رمقها إدي بنظرة يشوبها الشك، ما جعل العمل أفضل. بدأت ماريا بنقل تلك التفاصيل إلى دفترها؛ الشك! وصل ماريوس إلى الكهف ليجد فيولا تجلس مع التنين، وهما يتحادثان ويضحكان، ولم يقم التنين بعد بربط فيولا بسلاسل حديدية أو قيود استعداداً لشويها.

يا لها من بجعة محظوظة!

نظرت ماريا نحو إدي وقالت: «يوماً ما سوف تقرأ هذا الكتاب لأولادك، وسيطلبون منك أن تقرأ لهم قصة البطريق العاشق كل ليلة».

شعر إدي بصدمة محزنة، تبعتها ابتسامة خجولة. أما هي فأسدلت شعرها فوق وجهها لتخفي ابتسامتها، بينما التقطت تعبيراً آخر عن وجه إدي.

تمتم إدي قائلاً: «أخبريني! متى كانت آخر مرة خرجت فيها في موعد غرامي؟».

موعد غرامي؟ من أين خطر له هذا السؤال؟

- هذا ليس من شأنك.

- منذ أكثر من شهر؟

- قلت لك: هذا ليس من شأنك.

- سأعتبر أن جوابك نعم. حسناً! منذ أكثر من عام؟ أكثر من ثلاث سنوات؟

هزت ماريا رأسها. هناك حدود لما تريده أن يعرفه أو يفكره عنها.

- لا! ثلاث سنوات؟ بالطبع لا. أي نوع من الفتيات تظنني؟

- لست أنا، بل والداك.

التقطت ماريا أنفاسها. أمي وأبي؟ حسناً! سيحصلان على هدايا مميزة جداً لعيد الميلاد في السنة المقبلة. لن يمر وقت طويل قبل أن تتوقف عن التعامل مع والديها.

- هل تقول لي إن والديّ ناقشا حياتي العاطفية معك؟

- نعم، ناقشا حياتك العاطفية الخالية... إنهما خائفان عليك. أنت محقة في قولك إنهما يريدان تقريبنا من بعضنا. لقد... طلبا مني أن أسألك الخروج معي في موعد غرامي.

- لا!

- بلى. لم يحاولا حتى إخفاء الموضوع، بل طلبا مني ذلك بطريقة مباشرة.

- آه، يا إلهي!

- قلت لهما إنه يسعدني القيام بهذا. ما رأيك بليلة غد؟

وجدت ماريا نفسها تضحك. إنها ردة فعل غريبة، لكنها أتت بسبب الهستيريا التي أصيبت بها على الأرجح. هل طلب والداها من إدي أن يخرج معها في موعد غرامي بدافع الشفقة فقط؟ هذا رائع!

- لا!

- لِمَ لا؟

- تَذكر كل الأسباب التي ذكرتها لك، والتي تجعلني أرفض أن تكون مدربي. ثم اضربها بعشر مرات أخرى.

- لكنك تراجعت عن ذلك.

- حسناً! لن أخرج معك في موعد غرامي فقط لأن والديّ طلبا هذا. هل أنت مجنون إدي؟ يجب ألا تسمح لوالديّ بالتحكم بك وتقوم بتنفيذ كل مطالبهم. الله وحده يعلم إلى أين سيوصلنا هذا. أيعقل أن يطلبا منك أن تخرج معي في موعد غرامي؟! دعنا نغير الموضوع قبل أن أقوم بالاتصال بهما والصراخ في وجهيهما. دعنا نعمل بصمت.

- حسناً...!

صمت إدي لعشر ثوانٍ، ثم تابع يقول: «إذاً، كيف يجري البحث عن السيد الكامل الأوصاف؟».

حركت ماريا عينيها، ورددت: «السيد الكامل الأوصاف؟ إنه مجرد مفهوم صبياني».

- صبياني؟ أنت امرأة، ومن المفترض أن تكوني رومنسية وتؤمني بالأمير الفاتن. هذا ما كنت تفعلينه. أنا أذكر ذلك جيداً.

- يبدو أن الأمراء أصبحوا قلّة هذه الأيام. حتى إنني حاولت تقبيل بضعة ضفادع، ولم يحصل شيء. ماذا عنك؟

بعد أن فكرت بسؤالها أدركت أنها لا ترغب بسماع قصص إدي الغرامية، فتابعت تقول: «إن كان من المفترض أن أؤمن بالأمير الفاتن، فمن المفترض أن تؤمن أنت بسندريلا. أليس كذلك؟».

أغمض إدي عينيه، وألقى رأسه إلى الخلف على الحائط كأنه يشعر بالتعب. ابتسم من دون أن يفتح عينيه. شعرت ماريا بحرية النظر إليه ومراقبة تعابيره... لأسباب مهنية طبعاً.

- لدى سندريلا وبياض الثلج الكثير من المشاكل العائلية. أعتقد أنني

أفضل الأميرة النائمة.

كانت ماريا منشغلة بالنظر نحوه. فجأة أدركت أنه فتح عينيه وأخذ ينظر نحوها أيضاً.

- إذاً، لِمَ لست تبحثين عن شريك روحك؟

- هذا ليس من شأنك.

- أنت تريدين الحصول على بطريق خاص بك. أليس كذلك؟

حملت ماريا دفتر الرسم مجدداً، وخبأت وجهها خلفه. قالت: «إدي! اصمت، ولا تتكلم عن البطريق مجدداً».

نظرت نحو ساعتها وهي منذهلة كيف مر الوقت بسرعة. المسكينة نيكول لا تزال محبوسة في غرفتها.

- لقد انتهيت. شكراً. آسفة لأنني استبقيتك لفترة طويلة. إن تمكنّا من تكرار ذلك مرتين بعد سيكون الأمر مذهلاً.

- لا مشكلة.

وقف إدي وأمسك بسترته عن الكرسي، ثم تابع يقول: «تركنا سيارتك أمام المكتبة. هل أوصلك إلى هناك كي تحضريها؟».

- لا. لابأس. سأتركها هناك الليلة. ستوصلني نيكول في طريقها عند الصباح.

- هل أنت واثقة؟

- نعم. شكراً.

- أعطني رقم هاتفك. سأقوم بترتيب الخطة للبدء بالتمرين على القفز من الطائرة. سأتصل بك حين نصبح جاهزين. سيكون ذلك على الأرجح في أقرب وقت ممكن.

صحيح! هناك القفز من الطائرة وشركة «المغامرون الشجعان». هذا هو سبب عودته إلى حياتها.

كبحت ماريا أنيناً كاد يفلت منها فيما أعطته رقم هاتفها ليضيفه على هاتفه الخلوي. أخيراً ابتسم وقال لها: «وداعاً، ماريا. كان الأمر ممتعاً.

أراك قريباً».

اتكأت ماريا على الباب حين رحل إلى أن أتت صديقتها وسألتها: «إذاً؟ ما الذي حدث؟».

- ألم تكن أذنك على باب الغرفة طيلة السهرة؟

- لم أتناول العشاء بسبب غرامياتك، والآن انخفضت نسبة السكر في دمي وأصبح مزاجي مزعجاً، لذا... تكلمي!

- لم يحدث شيء. لا شيء مهم على ما أعتقد.

بدت نيكول خائبة الأمل: «أمضيت معظم السهرة في غرفة مقفلة من دون سبب مهم؟ لم تفعلا شيئاً أو تتحدثا بشيء مهم؟».

- حصلت على رسومات كثيرة.

اتجهت نيكول إلى المطبخ: «آه... ! هذا ليس مضحكاً على الإطلاق. سأحصل على عشاء متأخر إذاً بدل الأحاديث المثيرة».

رن جرس الهاتف، فرفعت نيكول السماعة لتجيب وظهرت ابتسامة صغيرة على فمها وهي تعطي السماعة لماريا.

- نعم؟

- لا تنسي أن تطعمي القطة المصابة بالسكري.

ترددت ضحكته في رأسها لفترة طويلة بعد أن أقفلت الخط.

٧ - قفزة خارج الزمن

- ماريا! أعتقد أننا تكلمنا كثيراً عن الطقس وزحمة السير والسياسة. هل بإمكاننا التحدث عن القفز الآن؟

تنهدت ماريا باستسلام. وصل إدي منذ ساعة، وتبادلا الكثير من الأحاديث التي جعلتها تشعر بالارتياح. أرادت التحدث عن أي شيء يلهيهما عن العمل. أحضر إدي معه كتيبات عن مغامرات مخيفة، وعلمت ماريا أن أي كلام سيقوله عن الموضوع سيكون أسوأ. نظرت نحو إدي وحدقت به جيداً. لم يبدُ لها كرجلٍ مجنون، لكنه قام بهذه الأعمال مئات المرات: رمى نفسه بكامل إرادته من الطائرة على ارتفاع آلاف الأقدام عن الأرض، كما تسلق الجبال وتحته انحدارات قوية مرعبة. ما الذي يجعل الناس يقومون بهذه الأمور مئات المرات؟

مهما كان السبب الذي يجعل الناس يرغبون في الشعور بالخوف فقد جعل شركة «المغامرون الشجعان» تستمر لخمسين عاماً. أما هي، فمن الواضح أن أمراً ما ينقصها.

من النادر حصول الحوادث مع شركة «المغامرون الشجعان». لطالما كانت كل الرياضات آمنة نسبياً، إلّا أن الشعور بعدم الأمان هو ما يجذب الناس إليها. لكن لماذا؟

أخذ إدي يلوح بيده أمام وجهها ويقول: «ماريا! هل أنت صاحية؟».

- هل علينا التحدث عن القفز؟

حرك إدي فمه كأنه يتحضر ليبدأ بحديث طويل، لكنه قرر في النهاية أن يختصر فأجاب قائلاً: «نعم».

www.elromancia.com

- لماذا؟

- لأنني هنا من أجل ذلك. إن كنت تريدين القفز عليك أن تعرفي المزيد عن الموضوع. هل تريدينني أن أرميك من الطائرة من دون تدريبك أو إعطائك أي تعليمات؟

- سأقفز برفقتك. أليس كذلك؟ لن أكون بمفردي.

- نعم. في المرة الأولى ستكونين برفقتي.

- إذاً، أنا لا أحتاج إلى معرفة المزيد الآن. كل ما أحتاجه هو الظهور هناك والارتماء في الهواء.

عرفت ماريا ما عليها فعله، وفكرت أنها ستأخذ معها دواءً منوماً لتتناوله قبل القفز، وهكذا ستكون نائمة حين يقفزان.

شبك إدي ذراعيه فوق صدره، لكنها نظرت بعيداً فسألها: «هل أنت واثقة أنك تريدين القيام بذلك؟».

- نعم، بالتأكيد. أنا واثقة.

- حسناً! إذاً تصرفي بجدية، وتوقفي عن تضييع الوقت. علينا أن نتدرب.

وقف إدي وأحضر حقيبة كان قد تركها أمام الباب. أخرج منها لوح تزلج ووضعه على الأرض فأخذت ماريا تنظر نحوه.

- لوح تزلج؟ ما الذي سنفعله به؟ هل هذه رياضة جديدة؟ هل سنتزلج فوق الغيوم؟

- استلقي فوقه.

- هـمم... ! أمرٌ مسلٍ. لكن لا أظنني سأقوم بهذا.

حرك عينيه بنفاد صبرٍ وقال: "يا امرأة! من الصعب أن تصبحي بطلة فجأة في عالم تنتظرين منه الأسوأ. هكذا نتدرب: تتظاهرين أنك ترمين نفسك، وأنا أريك كيف تتصرفين».

- ماذا؟ لماذا...؟ ما دخل لوح التزلج بالموضوع؟

- سأحرك اللوح بشكل يعطيك إحساس الرمية في الهواء. إنه ليس ما

يحدث في الواقع، لكنه الأقرب إليه.

نظرت ماريا نحو اللوح، وفكرت أنها تفضل استخدامه لأسبابٍ أخرى.

- إنه أمرٌ سخيف.

- الحياة سخيفة. عليك التعايش مع الأمر.

استلقت ماريا فوق اللوح بتذمر، واتبعت تعليمات إدي. مرت كلماته في رأسها من دون أن تركز عليها كثيراً، كما سمحت له أن يحرك ذراعيها ويدفع لوح التزلج من دون التأثير على ما تفكر فيه.

لم تكن ماريا تريد التدرب على القفز، فهذا يجعلها تشعر بالرعب. أرادت فقط أن تذهب إلى هناك وترمي بنفسها من الطائرة، وتدع إدي يهتم بهبوطهما. ستقوم بإغماض عينيها منذ اللحظة التي يرتميان بها في الجو، فتقطع أنفاسها حتى تصل إلى الأرض بسلام.

- أنت لا تستمعين إلي!

- بالطبع أنا أستمع.

- عظيم! إذاً أخبريني كيف تفتحين المظلة؟

قامت ماريا بالتفتيش عن إجابة عشوائية، فقالت: «يجب أن أسحب... الخيط أو مهما كان ما تسميه...».

- نعم. عليك الوصول إلى الخلف لتشدي حبل المظلة. لكن ماذا إن لم تستطيعي بلوغ الحبل؟

شعرت كأن قلبها صعد نحو حنجرتها، وقررت أن تسمع قليلاً ما يقوله: «ما الذي تعنيه؟ في تلك الحالة سألقى حتفي. أليس كذلك؟».

أمسك إدي برسغها ووضعه خلف ظهرها، ثم قال: «الحبل سيكون هنا. لكن إن لم تجديه فوراً لا تجزعي بل أنزلي يدك فوق الحقيبة حتى تجديه».

- أعتقد أن الحبل يجب أن يكون في يدي منذ البداية. لِمَ علي التفتيش عنه بينما أنزلق بسرعة كبيرة؟

غض إدي النظر عن تعليقها، وسألها: «متى عليك أن تفتحي المظلة؟

كيف تحددين الوقت الملائم؟».

- أنت ستقول لي. ليس علي أن أعلم إلا حين أقوم بقفزتي المنفردة.

- أنت تريدين أن تفهمي ماالذي تقومين به. أليس كذلك؟

- لا! أنا فقط أريد أن أصل إلى الأرض في أسرع وقت ممكن.

- أحقاً؟ لا أعتقد أنك تعنين ما تقولينه.

- أقصد بأسرع وقت ممكن، لكن بسلام.

- أتمنى ذلك. كيف ستحافظين على توازنك في الهواء؟

كانت يده لا تزال خلف ظهرها ما جعلها تشعر بحرارة مرتفعة تمر في جسدها.

- سأتمسك بك وأغمض عيني.

- عزيزتي بقدر ما أعجبتني فكرة التمسك بي وأنت تغمضين عينيك...

- آه! لا تحول الكلام إلى معنى آخر...

تنهد إدي، وقال: «هل أنت هنا كي تتعلمي أم لا؟».

- نعم. حسناً! أنا آسفة. سأتعاون معك، لكن هل بإمكاننا أخذ استراحة؟

- بالطبع. ما رأيك أن أعد القهوة بينما تقومين بقراءة بعض التحذيرات في كتيب التعليمات؟

- تباً! هذه ليست استراحة حقيقية.

- عليك التعايش مع الأمر. ركزي، فهذا اختبارٌ لك.

ركزت ماريا على الدروس بعد الاستراحة لأنها أرادت أن يجلس لترسمه مرة أخرى، وبدا إدي سعيداً بتقدمها.

سألته حين انتهيا من التدريب: «ألديك بعض الوقت غداً لنكمل العمل على ماريوس؟».

- بالطبع. ستصل جيني وابنها غداً، وسأمضي بعد الظهر معهما، لكنني حرٌ في المساء. إنه موعد. سنلتقي في شقتي لتناول العشاء عند المساء.

- لا! إنه ليس موعداً، ولن نتقابل في شقتك.

- سنكون بحاجة إلى تناول الطعام.

- ليس علينا أن نأكل ونحن نعمل.

- اعتبريها فرصة تستوحين منها كيف سيقوم ماريوس بأكل البجعة المشوية بواسطة منقاره.

ضحكا قليلاً، ثم تمكنت ماريا من الإجابة فقالت: «لا. لا أستطيع! بهذه الطريقة سأنفذ مخطط والديّ الذي يهدف إلى تزويجنا. أنا لن أشجع ذلك».

هز إدي رأسه، فغطى شعره عينيه من جديد. إنها لا تزال تراه جذاباً!

- إنها حجة ضعيفة ماريا. حتى لو كنت تهتمين لما يقولانه، فليس من الضروري أن يعرفا أننا نمضي الأمسية معاً.

- نعم. لكنها حجتي، وهذا يعجبني.

- مِمَّ تخافين؟

- أنا لست خائفة. أنا فقط لا أريد ذلك. أريد أن تبقى الأمور بيننا محصورة بإطار العمل. صحيح أننا كنا أصدقاء في الماضي، أما الآن فهناك حرب بيننا. لو لم نكن مضطرين لما كنا حتى نتحدث إلى بعضنا البعض. هناك مثل يقول: «لا تعاشر عدوك».

- هناك مثل آخر يقول: «اقترب من أصدقائك قليلاً ومن أعدائك أكثر».

تحرك نحوها ليثبت نظريته، فأمسك بها ووضعها بمحاذاة الحائط. ثم ثبّت يديها على جانبي رأسها.

- لا تنظر إلي بهذه الطريقة إدي.

- بأي طريقة؟

لم تعد ماريا تتظاهر، بل قالت تحذره: «لن يحدث ذلك بيننا».

- لِمَ لا؟

- أنت تطرح الكثير من الأسئلة.

ابتسم إدي ببطء حتى تمكنت من رؤية أسنانه البيضاء، ثم ضحك بقوة ما جعل اهتزاز الصوت العميق ينتقل من جسده إلى جسدها.

- أتذكرين ذلك العناق بيننا؟

أغمضت ماريا عينيها، وكأنها عادت إلى الشعور بخجل المراهقين.

ظنت أنه نسي الموضوع، ولن يقوم بالتحدث عنه مجدداً. أجابته قائلة: «لا».

ظلت تشعر بابتسامته حتى وهي مغمضة العينين.

- أرى أنك مازلت تذكرينه.

- لا!

- فكرت به كثيراً مؤخراً. ماذا عنك؟

- لا!

- بدوت أكثر الفتيات رقة في العالم يومها، وبدت عيناك كبيرتين وواثقتين...

- دعنا لا نتكلم عن الأمر.

- ...لكنك كنت عديمة الكياسة.

فتحت ماريا عينيها ووضعت كلتا يديها فوق صدره لتدفعه بعيداً عنها. لم يكن ينقصها إلا أن يهينها أكثر!

- إدي...!

- نعم. كنت كذلك.

- حسناً! كنت طفلة، كما كنت تناديني. لم أكن أملك خبرة.

- لكنك أشعلت فيّ ناراً.

- لكن... أحقاً؟

- أعلم أنني ناديتك طفلة، لكنني أدركت فجأة أنك لم تعودي كذلك... أدركت أيضاً أنك لا تعرفين ما الذي تقومين به بشكل واضح، وأردت أن أعلمك كل شيء...

تنهد إدي بندم، وتابع: «تباً! لم أسامح نفسي يوماً لأنني تصرفت

بشهامة».

- أتسمي ذلك... شهامة؟

- ألديك فكرة عن التضحية التي قمت بها حين أبعدتك عني بدلاً من التقرب منك؟

- غادرت إلى النيبال في اليوم التالي. بقيت أبكي لخمسة أيام وأنا أتخيل أنني مغرمة بك. آه، يا إلهي! كم يمكن أن تكون المراهقات تافهات.

أخذ يمرر أصابعه فوق وجنتها، كأنه يحاول مسح تلك الدموع القديمة. شعرت ماريا أن لمسته تحرقها.

- آه! هل بكيت خمسة أيام من أجلي؟ هذا أمرٌ لطيفٌ جداً.

- لا تقلق! تخطيت الأمر. أغرمت مجدداً أكثر من مرة.

- امرأة متقلبة! لكنني على الأقل حصلت على قلبك لمدة خمسة أيام.

- نعم.

آه... يا إلهي! يا إلهي! يا إلهي! بدأت أعصابها ترتجف وتقفز بجنون.

- إدي...!

- نعم، ماريا؟

أرادت أن تبتعد، لكن قدميها لم تساعداها، لاسيما بعد أن راحت أصابعه تلاعب خصلات شعرها وهو ينظر نحوها بتلك الطريقة.

- ألا يجدر بك أن ترحل؟

- نعم... بعد دقيقة.

سألته وهي تشعر باليأس: «هل قلت إن جيني ستعود غداً من ورشة العمل؟ سأتصل بها».

- هـمم...

ما الذي تفعله أصابعه حول أذنها الآن؟

أمسكت ماريا يده وأبعدتها، ثم أخذت قلماً عن الطاولة بسرعة ورفعته بينهما. ألا يقولون إن القلم أقوى من السيف أحياناً؟

- ألم تكن تستعد للمغادرة؟

تجاهل إدي سؤالها.

- لقد شعرت بنبضك. ولا أزال أراه يهتز في عنقك.

- لم أعد في السابعة عشرة من عمري إدي.

- أعلم.

أمسكها إدي من جديد، يا إلهي! إنه لا يقاوم، وماريا لم تعد تملك الكثير من الدفاعات.

- إدي... توقف!

ضحك من طلبها، وتابع تحسس بشرتها الناعمة، ثم قال: «أحب اسمي حين تلفظينه بهذا الشكل... هل تريدين أن أتوقف حقاً؟».

لَم يصعب عليها أن تقول نعم؟

لَامست خصلات شعره بشرتها، ودغدغت رائحة النظافة والانتعاش فيه خياشيمها. بدا ملمسه ناعماً، ولم تستطع منع نفسها من تمرير يدها عبر خصلاته. أدارت ماريا رأسها فشعرت به قريباً جداً منها. تنشقت عطره وضاعت به كلياً...

- إدي...!

- نعم؟

- ساعدني كي أتذكر لما لا يمكننا القيام بهذا.

بدت عيناه ناعستين وهو يرفع رأسه قليلاً كي يراها. بدتا داكنتين حالمتين لا تقاومان، لاسيما مع تلك الابتسامة المخبأة خلفهما.

- لدي فكرة أفضل... ساعديني كي نتذكر لما علينا القيام بهذا.

- لا... لا تحاول خداعي. علم النفس العكسي لا ينفع معي.

يجب أن يكون الأمر سهلاً... بإمكانها الابتعاد عنه.

لا، ذلك ليس سهلاً... إنه أمر مستحيل...

- نعم. لكن لا يمكننا القيام بهذا لأننا مختلفين كثيراً.

نعم، إنه محق... لكن من ناحية أخرى...

- أنت مخطئ، علينا فعل هذا لأن الأضداد ينجذبون إلى بعضهم...

ويكملون بعضهم البعض.

- آه...! لكن علينا ألا نفعل ذلك...

همس بذلك بالقرب من أذنها، وبدا مصراً على كلامه، فسألته: «لماذا؟».

- لأن زميلتك في السكن تحدق بنا.

- ماذا؟

أدارت رأسها بسرعة، حتى إنها شعرت بالدوار. كانت نيكول تقف عند الباب ومفتاحها لايزال معلقاً في قفل الباب، وهي تحدق بهما.

- آه...!

سحبت ماريا يدها مدعية أنها لم تكن تداعب شعره بأصابعها، ثم وضعتها فوق صدره ودفعته بعيداً عنها.

لم يبدُ إدي مرتبكاً مثلها، بل قام بالترحيب بنيكول بمرح: «مرحباً! أتعلمين؟ عليك فعلاً أن تعملي على تحسين توقيتك».

هزت نيكول رأسها معتذرة. أمسكت ماريا لوح التزلج عن الأرض، وأعطته لإدي. من الأفضل أن تخرجه من هنا قبل أن تستعيد نيكول صوتها: «شكراً على الدرس».

وجهت نظرة تحذيرية إلى نيكول لتمنعها من التعليق على موضوع طبيعة هذا الدرس، وتأبطت ذراع إدي لترافقه إلى الباب.

ابتسم إدي وتوقف قليلاً، ثم انحنى على مقربة من وجهها، فصرت أسنانها كالفأرة العصبية. لكنه قرب فمه من أذنها، وهمس قائلاً: «غداً جلسة الرسم. عند الساعة السابعة. أنا وأنت والبطريق المغرم».

تابع سيره نحو الباب، ثم نظر إلى نيكول وقال: «أراك لاحقاً».

سيطر الصمت على الشقة لفترة طويلة بعد مغادرة إدي. شغلت ماريا نفسها بترتيب الكتب ووضعها خلف حاملة المجلات، لكن حين انتهت من ترتيب كل شيء كانت نيكول لاتزال واقفة مكانها تحدق بها.

- امسحي تلك الابتسامة الراضية عن وجهك. أنت لم تري شيئاً.

- لا أستطيع منع ذاكرتي من استرجاع المشهد. آه... هيا! أخبريني كل شيء.

- ليس هناك ما أخبرك عنه. الأمر ليس كما بدا لك.

- أحقاً؟

- كنا فقط نتدرب على القفزة. لا شيء آخر.

- آه! أتعنين أنكما كنتما تتدربان على عملية التنفس الاصطناعي التي سيجريها حين تفقدين وعيك في نهاية القفزة؟

- لم يحدث بيننا حتى عناق.

في الواقع، لو أن نيكول تأخرت بضع دقائق فهذا بالتحديد ما كان على وشك الحدوث.

تنهدت نيكول وتحركت من مكانها الذي تجمدت فيه منذ وصولها، ثم قالت: «هيّا... ! ما المشكلة؟ لن تقولي إن كل ما هنالك هو أن ذلك الرجل الوسيم رمى بنفسه عليك... نعم. هذا ما يحدث معي دائماً».

- نيكول...!

حاولت ماريا إظهار التحذير في نبرة صوتها، لكن ذلك لم يردع صديقتها.

- إنها لعنة. أليس كذلك؟

ثم راحت تدندن أغنية عن الحياة والحب....

* * *

نادت جيني عبر الباب قائلة: «انتظر قليلاً. هناك عدة أقفالٍ علي فتحها أولاً».

عدة أقفال؟ سألها إدي عبر الباب بينما كان ينتظر: «هل أصبح لديك خوف من اللصوص؟».

فتحت شقيقته الباب أخيراً، وحالما أصبح في الداخل عادت جيني لتقفل الباب من جديد، ثم قالت: «ليت الأمر كذلك، لكنني أفعل هذا بسبب ساموبل. أصبح يعرف كيف يفتح الباب. قمت بإعداد المنزل

للأطفال بقدر ما يمكنني، لكنه بات الآن يعرف تماماً كيف يصل إلى الأشياء التي يريدها».

ثم أردفت وهي تشعر بالفخر: «إنه أمرٌ صعب بالطبع، لكن... لن تصدق كم أصبح بارعاً في تركيب قطع الأحجيات».

انتهت من إقفال الباب، ثم استدارت نحو إدي وارتمت بين ذراعيه!

- يا إلهي! إدي... كم أنا سعيدة برؤيتك.

احتضن إدي شقيقته لفترة طويلة، ثم شعر بها ترتجف وبدأ يشعر بدموعها تترقرق فوق رقبته.

- جيني...!

- آسفة، آسفة، آسفة...

دفعت جيني نفسها بعيداً عنه، ثم سحبت منديلاً ورقياً من جيبها وتابعت تقول: «أصبحت شديدة التأثر أكثر من اللزوم هذه الفترة. سيتحسن الوضع حين نبدأ بتطبيق برنامج العلاج، حيث سيعتاد سام على روتين معين. أما الآن فهو مهووس بفكرة الهروب من المنزل».

رمى إدي سترته فوق حاملة المعاطف، وقال: «يبدو أنه صبي ذكي. أنا متشوقٌ لرؤيته. أصبح في الخامسة من عمره. أليس كذلك؟ كان مايزال يلبس حفاضاً آخر مرة رأيته فيها».

ابتسمت جيني، لكن عينيها كانتا مليئتين بالدموع: «إنه لايزال يلبس حفاضاً، لكننا نعمل على التخلص منه».

- آه، تباً!

أراد إدي أن يضرب نفسه على ما قاله، لكن جيني استدركت الأمر وقالت: «لا تقلق. لا داعي للتفكير بالموضوع. على الأقل أنت قلت ذلك عن طريق الخطأ. أما ستيفن فيقول عبارات جارحة فقط بهدف إيلامي. لا أعلم لما يفعل هذا لكن... آه، تباً! لا داعي للتكلم بهذا الموضوع. أليس كذلك؟».

آه، يا إلهي! العودة إلى المنزل هو قرار صائب تماماً، فهو على الأقل

سيحاول تقديم المساعدة لجيني بدلاً من البقاء بعيداً كالغبي. بدت جيني متعبة، ضعيفة وشاحبة. من المؤكد أن الطلاق كان صعباً عليها، وبالرغم من أنه سمع نصف القصة فقط إلا أنه متأكد أن الحياة اليومية مع سام صعبة جداً.

- أعطني ضمة أخرى شقيقتي، يبدو أنك تحتاجين إلى واحدة.

تشبثت جيني به وهو يغمرها، إلّا أنه شعر بالخوف حتى الموت حين أجهشت بالبكاء، فقال بسرعة: «هيا... حبيبتي لا تبكي!».

- آسفة، لكنني سعيدة جداً برؤيتك.

وتابعت تقول: «اذهب لإلقاء التحية على سام بينما أستجمع شتات نفسي، فأنا في حالة عصبية مزرية هذه الأيام بسبب تملص ستيفن من مسؤولياته».

ترك إدي شقيقته خلفه، ودخل إلى المنزل الصغير حيث وجد صبياً صغيراً ذا شعرٍ داكن اللون يجلس في سرير والدته، ويحمل لعبة فوق حضنه.

- مرحباً يا صديقي الصغير!

لم يستجب الطفل لتحيته، لذا دخل إدي إلى الغرفة وجلس بالقرب منه.

- أنت لا تتذكرني أليس كذلك. كنت صغيراً جداً حين رأيتك لآخر مرة.

تابع سام اللعب بعجلة شاحنته الصغيرة. انتظر إدي قليلاً، ففي النهاية لابد أن يشعر بالملل من لعبته ويصبح مستعداً للتعرف عليه.

لكن ذلك لم يحدث. لذا قام إدي أخيراً بالامساك باللعبة، فأوقف العجلة عن الدوران.

- إنها شاحنة جميلة. هل بإمكاني رؤيتها؟

بدأ الطفل بالصراخ، ثم نزل إلى الأرض، وأخذ يتصرف بذعرٍ وشراسة وهو ينتفض عبر الغرفة، فيما ظل متمسكاً بالشاحنة. أتت جيني بسرعة وهي تصرخ من الخارج: «ماذا حدث؟».

- ظن أنني سآخذ الشاحنة منه.

ركعت جيني على مقربة من سام لتتكلم معه قليلاً، لكنها بقيت بعيدة عن متناول ركلة قدميه. لم يعرها الطفل انتباهه، لكن صراخه انتهى أخيراً. جلس على الأرض، وأخذ يحرك عجلة الشاحنة إلى الخلف وإلى الأمام بحماس جديد.

قالت جيني لإدي وهي لاتزال تدير ظهرها له: «لقد توصلنا إلى اتفاق. يمكن لسام أن يلعب بشاحنته في غرفة النوم، لكنه يتركها دائماً عند باب الغرفة. لو عاد الأمر إليه لما فعل شيئاً سوى اللعب بعجلة الشاحنة طيلة اليوم، لكننا توصلنا إلى اتفاق الآن: فأنا لا آخذ منه شاحنته في هذه الغرفة، وهو لا يصرخ للمطالبة بها خارجها».

- حسناً!

حاول إدي أن يخفف ضربات قلبه قليلاً. هل يتكرر هذا الأمر كثيراً؟ سبق لإدي أن رأى أطفالاً يصابون بنوبات غضب، لكن هذه النوبة بدت مختلفة عن كل ما رآه في السابق.

أشارت جيني إلى سلة معلقة على الباب بداخلها الكثير من السيارات.

- سيترك هذه الشاحنة في تلك السلة.

- فهمت.

- تتدخل الشاحنات في كل ما أحاول تعليمه له. عليه أن يتعلم الأشياء الأساسية التي يحتاجها كل يوم، لذا اخترت غرفتي لتكون مقراً للعب بالشاحنات. حين وصلنا إلى هذه المرحلة وأصبح بإمكانه ترك الشاحنات خلفه في هذه الغرفة أصبح يفهمني أكثر. بإمكانه الآن التركيز على أشياء أخرى، فقد بدأ يتكلم... حتى إنه بدأ يقرأ.

نظرت جيني نحوه وابتسمت برغم الدموع التي تملأ عينيها، ثم تابعت: «إنه في الرابعة من عمره، لكنه تعلم قراءة كل الحروف».

كانت أذنا إدي لاتزالان ترنان بسبب الصراخ. وجه كلامه إلى سام قائلاً: «أنا آسف لأنني أردت أخذ شاحنتك. لم أكن أعرف القواعد. أنا آسف».

تكلمت جيني عن ابنها وقالت: «لابأس».

ثم أومأت لإدي كي يقترب، وأمسكت بيد ابنها ووضعتها فوق صدر إدي قائلة: «إنه خالك إدي. سبق أن رأيت صوره سام. هل تذكر صورته فوق الدبابة المدرعة؟ إنه خالك إدي».

أدار ساموبل رأسه، وحدق في مكان غير محدد في الفراغ. كررت جيني مجدداً بصبر: «إدي».

لمست وجنة سام لتلفت انتباهه، ثم أمسكت بيده من جديد وأشارت بها نحو صدر إدي، وقالت مرة أخرى: «إدي».

أخيراً تمتم الطفل قائلاً بصوت رفيع ومرتفع: «دي».

ثم وكز إدي بإصبعه، وقال: «دي».

بعدها أشار نحو صدره ليقول: «سام».

غمرت جيني طفلها وهي تمطره مديحاً، ثم أخبرت إدي قائلة: «كان التدريب في ورشة العمل مذهلاً. كلانا تعلمنا الكثير منه».

- هذا عظيم. إذاً عليك أن تعلميني الآن. أنا هنا للمساعدة، وليس لإحداث نوبات عصبية لديه.

- النوبات العصبية أصبحت أمراً يومياً مؤخراً. ستعتاد على الأمر. كيف تسير الأمور معك؟ هل استلمت شركة «المغامرون الشجعان»؟

- لا، ليس بعد.

تكلمت جيني قليلاً مع ابنها، فأقنعته بطريقة ما أن يقف ويضع شاحنته في السلة. ثم توجهوا جميعاً إلى المطبخ، وبدأت جيني بتحضير وجبة خفيفة.

- أخبرني عن الموضوع. لم أرَ هارلن وكارا منذ مدة طويلة وكذلك ماريا. أنا أحصل على كتبها كلها. هل تعلم ذلك؟ كنت أحاول البقاء على اتصال بها لكن، حسناً... ! لم أعد أملك الوقت للأصدقاء. لكن ساموبل يحب كتبها، كما يحب رسوماتها... لاسيما الحيوانات.

- إذاً ستعجبه قصتها المقبلة. إنها تتكلم عن طائر بطريق عاشق.

رأى إدي وجه شقيقته يشرق. أخبرها عن مغامرات ماريوس، لكنه لم

يخبرها عن صراع ماريا للمحافظة على الشركة. لاداعي ليشغل بالها أكثر.

بدت جيني متعبة، فظهرت دوائر سوداء حول عينيها، وبدا له أنها فقدت بعض الوزن مؤخراً. نظر نحو ابن شقيقته، وشعر بالكثير من العاطفة تجاه هذا الطفل بالرغم من أنه لا يعرفه كثيراً بعد.

لم يعد أمامه حل آخر الآن؛ إنهما بحاجة إليه أكثر مما تخيل من قبل. إنه بالتأكيد سيبقى... وهذا يعني أنه سيقوم بشراء الشركة لامحالة.

www.elromancia.com

٨ - حديث الوسادة

- ما المشكلة؟ ألم تنتهي من رسم جناحيّ بعد؟

إنه يجلس هناك بصبر منذ نصف ساعة، ويبذل قصارى جهده ليوحي لها بماريوس العاشق، لكن يبدو أن تضحياته لا تلقى تقديراً. فقد ازداد عبوس ماريا وتقطيبها لحاجبيها، كما ظلت تهمس بكلام غير مفهوم، وتشتم وترمي بقلمها تارة لتحضر واحداً بدلاً منه أو بالأحرى أقلاماً مختلفة تارة أخرى. رسمت على عدة أوراقٍ ومزقتها لترميها باتجاه سلة المهملات غير آبهة إن وصلت تلك الأوراق على الأرض.

إدي لا يعرف الكثير عن فن الرسم، لكنه فهم أنها تواجه مشكلة ما.

تمتمت أخيراً وهي تدفع بشعرها بعيداً عن جبهتها: «إنه ماريوس! لا أستطيع القيام بهذا... يا له من بطريق مزعج!».

ثم مزّقت رسمة جديدة ورمتها نحو السلة.

- أنا آسف.

ابتسمت ماريا استجابة لكلامه. بدت وكأنها تفقد حس الفكاهة حالما تمسك قلماً في يدها.

- لست أنت المذنب بل ماريوس. إنه يسبب لي الكثير من المشاكل. إنه لا يتعاون معي أبداً.

- أي نوع من المشاكل؟

أمسكت ماريا قلماً جديداً ووضعته في فمها. كانت تضع واحداً خلف أذنها وواحداً آخر في شعرها، لكنها أمسكت بقلمٍ جديد أيضاً لتقوم ببريه.

- إنه يتآمر علي.

- آه... ! هل بإمكان ماريوس فعل هذا؟

هزت ماريا رأسها ورمت مبراة الأقلام، ثم حركت يدها بقلق فوق الورقة وقالت: «أشعر بغضب شديد حين تفعل إحدى شخصيات قصصي هذا بي. من المفترض أن يدخل ماريوس إلى الكهف ليصطاد بضعة وحوش ويقيم صداقات مع بعض الحيوانات التي تعيش تحت الأرض، وهي حيوانات سبق له أن قام بإنقاذها، وعندها يكتشف أن فيولا ليست هناك. بعدئذٍ يكمل رحلته في الخارج. إنها قصة بسيطة وغير معقدة».

- لكن ذلك لم يحدث. أليس كذلك؟

- لا، لأن ماريوس الفضولي المغامر الذي يعشق الاستكشاف قرر أن يتوقف ليستكشف الكهف من الداخل، واحزر ماذا وجد؟

حاول إدي كبت ضحكة قوية بداخله. وقال بجدية: «لا أملك اي فكرة».

- وجد مدخلاً سرياً في آخر الكهف.

رمت ماريا قلماً آخر، وأجالت نظرها على أدوات الرسم فوق الطاولة للبحث عن قلم جديد فيما تابعت تقول: «ما الذي يفعله المدخل السري هناك؟ بالطبع، لن يستطيع البطريق أن يقاوم فضوله. إنه نموذج واضح عن الذكور المغرورين الذين لا يفكرون بعواقب الأمور، ولا يخافون من شيء. في النهاية يترك الحل لمشكلته بين يدي، وعلي أنا أن أنقذ الموقف».

- آه... !

- إنها مجرد فتحة صغيرة مظلمة في آخر الكهف... هو لا يملك أي فكرة عن المكان الذي تؤدي إليه، ولا يعرف إن كان يستطيع العودة منه. ماذا عليه أن يفعل؟

- ماريا... إنها قصتك...

- نعم، أنت محق. من دون أن يفكر بأحد ولا حتى بي، قام ماريوس الغبي بابتلاع كرشه، ثم أدخل منقاره أولاً في الفتحة ودخل إلى المجهول.

- كرشه؟

نظر إدي نحو معدته المشدودة، وعبس ثم قال: «أي كرش؟ هل تعنين

أنك لم تلاحظي عضلاتي المشدودة؟».

شعر إدي بأن ماريا قد استرقت النظر قليلاً نحو عضلاته، لكنها أكملت تقول: «حاولت أن أقنعه بالعودة لكنه رفض. قال إنه رأى نار التنين من بعيد».

حدقت ماريا برسوماتها، ومزقت ورقة جديدة ثم قالت: «لا أملك أدنى فكرة عما سيحدث الآن، أو كيف سأنهي هذه المسألة».

رمت دفتر الرسم على الطاولة، وكتفت يديها وهي تبدو كأجمل عاصفة في العالم.

- كيف سأتمكن من رسم المشاهد وأنا لا أعلم ما الذي سيحدث؟

قام إدي بتقديم الاقتراح الذي وجده ذكياً جداً فقال: «أنت الكاتبة، لذا تعلمين... بإمكانك أن تقرري ما الذي سيحدث».

أصبحت نظراتها أكثر غضباً وهي تقول: «لا تجري الأمور بهذه الطريقة... لكن لماذا يفاجئني ذلك؟ إن كان يحمل روحك، فمن المنطقي أن يتصرف مثلك».

رفع إدي يديه، فهو على الأقل متأكد أنه بريء من هذا الاتهام. قال: «لم أقم يوماً بملاحقة تنين أو باصطياده... حتى من أجل بجعة جميلة. أقسم لك! كما أنني لا أملك كرشاً».

رفعت ماريا قدمها وقامت بركل الطاولة التي وضعت عليها دفتر الرسم. انحنى إدي وألقى نظرة على الرسم، فوجد صورة لماريوس يظهر فيها آسفاً ومعتذراً.

- أنت بحاجة إلى استراحة.

ردت ماريا بسحب دفترها مصرة على المتابعة.

- لا أستطيع. هناك موعد للتسليم. علي أن أنتهي منه.

- أقترح أن تبتعدي قليلاً عن أجواء القصة. ما رأيك بالقيام برحلة بالطائرة غداً؟

تحول الانزعاج في عينيها إلى ارتباك: «رحلة...؟ إلى أين؟ ولماذا؟».

- نحن في شركة «المغامرون الشجعان». سنقوم برحلة غداً مع مجموعة من الذين سيقومون بالقفز من الطائرة.

- ماذا؟

ظهر الذعر على وجهها: «هل أنت مجنون؟ غداً... أنا لست جاهزة».

- ظننت أنك سترحبين بفكرة الذهاب ولو لمرة واحدة فقط لتراقبي ما يحدث. بإمكانك مشاهدتنا ونحن نقفز إن أردت. الأمر يعود إليك.

رمت قلماً آخر بينما فكرت باقتراحه، ثم قالت أخيراً بشكل فاجأه: «إنها ليست فكرة سيئة. نعم. سأذهب بالتأكيد».

بدت ماريا حذرة في تصرفاتها معه اليوم. من المفترض أن يتوقع إدي هذا منها بعد ما حصل بينهما بالأمس. هناك تفاعل قوي بينهما مهما حاولا إنكار ذلك... لكن الوقت الآن غير مناسب تماماً. عليهما الانتهاء من المشاكل بينهما أولاً.

- جيد. أنا سأقوم بالقفز أيضاً. ستتمكنين من رؤية كيفية سير الأمور.

ظهر الشك على وجهها الجميل كما يحدث معظم الوقت. قالت: «هل تتوقع أن يخيفني هذا؟».

- فقط إن لم أنجُ.

- إدي!

- لن يصيبني مكروه. إنها مجرد فكرة. لست مجبرة على الذهاب.

- لكنني سأذهب.

- سيحلق صديقي آدم بالطائرة. سوف يتولى شرح ما يحدث، بينما تراقبيننا ونحن نهبط.

ظهرت معالم الشك على وجه ماريا مجدداً وهي تقول: «آدم؟ إنه شريكك... أليس كذلك؟ أنتما الاثنان تريدان سرقة... أقصد شراء الشركة معاً. أليس كذلك؟».

هز إدي رأسه. قال: «آدم صديق جيد. نحن نعمل معاً منذ أكثر من

عشر سنوات. إنه شابٌ مميز. ستحبينه».

- لا، لن أفعل. حين تصبح الشركة لي قد أحبه وقد أحبك أيضاً، لكن حتى ذلك الحين فأنا لن أحبكما أبداً.

نظر إليها بطرف عينه: «أنت تصعّبين الوصول إليك... تماماً مثل فيولا».

نظرت ماريا نحوه متفاجئة لدرجة أنها نسيت الاعتراض على الموضوع، وقالت: «فيولا؟ أهي تصعّب الوصول إليها؟».

- حسناً! من الواضح أنها معجبة بماريوس لكنها خائفة ألا يبادلها الشعور نفسه. أليس كذلك؟

أرجعت ماريا خصل شعرها إلى خلف أذنها بتلك الطريقة التي لا تقاوم، ثم حدقت في رسوماتها.

- أحقاً؟ هل أنت متأكد؟

- لا. إنها قصتك... ما أدراني أنا.

مازحته ماريا قائلة: «أظنك تريد الوصول إلى شيء ما. ربما الهدف من تصرفات فيولا منذ البداية هو لفت نظر ماريوس ليس أكثر. أعني هو من أخبرها في البدء عن ريش التنين السحري لهذا قامت بتلك الرحلة أصلاً. ربما...».

أمسكت ماريا قلماً وأخذت تكتب باهتمام. وتابعت تقول: «إذاً ربما لهذا السبب نزل ماريوس إلى الكهف. إنه يبحث عن مقر التنين لأن فيولا...».

راقبها إدي. ربما غداً ستنتهي هذه المغامرة كلها.

ساوره شعور بالألم لعدم تمكنه من الاقتراب منها ولمسها، لكن الوقت ليس مناسباً بعد. عليهما الانتهاء من مشاكلهما أولاً. بعد ذلك قد يتمكنان من فتح قلبيهما لبعضهما وإظهارعواطفهما عبر وسائل أكثر إثارة من الشخصيات الكرتونية.

* * *

بدت تلك فكرة جيدة. إنه اختبار حقيقي، وتحضير مباشر للمغامرة.

لكن حين رأت ماريا مجموعة «المغامرون الشجعان» يحضرون مظلاتهم وهم متحمسين للقفز بدأت معدتها تقول لها إنها لا تريد التواجد هنا.

سألت إدي حين تمكنت من التكلم معه على انفراد: «اشرح الأمر لي. لمَ يقدم الناس على القيام بهذه الأمور؟ لماذا تفعلون هذا؟ لماذا تسعون وراء الخطر؟».

- أنا لا أسعى وراء الخطر، ولست أخاطر بحياتي. كل شيء آمن إلى أقصى الحدود. هذا ما يتمحور معظم عملنا حوله: الأمان.

هزت ماريا رأسها بذهول، وقالت: «لكن... بالرغم مما تقوله فهؤلاء الناس يقومون بتلك المغامرات لأنهم يحبون عنصر الخطورة فيها. أعني... ألست خائفاً؟».

أجابها إدي ببطء وهو يحاول اختيار كلماته بدقة: «أعتقد أنه نوعٌ من الخوف مختلف عما تشعرين أنت به. إنه خوف إيجابي وليس سلبياً. ربما تركيبة أدمغتنا مختلفة».

- آه! بالتأكيد. لا بد أن هناك خطأ ما في تركيبة أدمغتكم.

- خطأ في... ماذا؟

- كيف يكون الخوف إيجابياً؟ هذا أمر غير طبيعي. الخوف يؤدي إلى نتيجة من اثنتين: المحاربة أو الهرب. وليس من المفترض أن يستمتع الإنسان بأي منهما.

- لا أدري. من الأفضل أن تسألي أحد العلماء أو الفلاسفة.

- أنت لا تعرف. أليس كذلك؟ لا تملك أي فكرة عما يولده شعور الخوف لدي.

- إنه سؤال فلسفي. أعني هل بإمكان أي شخص أن يفهم كيف يشعر شخصٌ آخر؟

تابعت ماريا تقول: «أليس من الغرابة أن يبدو هذا الشعور مسبباً

للشلل والرعب لي بينما يبدو رائعاً ومذهلاً بالنسبة لك؟».

هز إدي كتفيه، وقال: «نعم. لا أعلم إن كان الشعور مختلفاً في النوع أم في الكمية، لكنني نادراً ما واجهت الخوف المسبب للشلل الذي تتكلمين عنه. الخوف في داخلي أقرب إلى الحماس والإثارة والبهجة».

أمسك إدي يد ماريا ومشى معها نحو وسط الغرفة وتابع يقول: «سأعلمك الآن كيف توضبين مظلتك».

- هل سيتوجب علي القيام بذلك بمفردي حين أستعد للقفز؟

- سأساعدك حتى تتمكنين من القيام بذلك بمفردك.

- حتى أتمكن من القيام به بمفردي؟ لكنني لن أقوم بالقفز بشكل متكرر حتى أتعود.

- معظم الناس يحبون توضيب مظلاتهم بأنفسهم. فهم يتأكدون بتلك الطريقة أنها قد وضّبت بشكل صحيح.

آه... ! شعرت ماريا بالذعر، فسألته: «ما الذي يحدث إن لم توضب المظلة بشكل صحيح؟».

رمقها إدي بنظرة خاطفة، وقال: «فقط قومي بتوضيبها بشكل صحيح، ولا داعي للقلق».

كانت الطائرة صغيرة لكنها مليئة بالناس. أجلس إدي ماريا في أحد المقاعد، فوضعت حزام الأمان وتشبثت به. إنها الوحيدة - إلى جانب الطيار طبعاً - التي لن تغادر الطائرة، فهي لن تغادر كرسيها إلى أن تهبط الطائرة على الأرض بسلام. وجه المدربون خطابات حماسية لتلاميذهم للمرة الأخيرة قبل القفز، بينما جهز آدم الطائرة ليقفزوا منها. ركزت ماريا على النظر خارج النافذة. جلس إدي بجانبها وهو يرتدي ملابس برتقالية اللون بدت لها كريهة جداً.

علقت قائلة: «يالها من ثياب مثيرة جداً».

ابتسم إدي، وأمسك بيدها.

- هل تشعرين بالتوتر؟

آه... رائع! إنه يمسك يدها. هذا ما أرادته بالفعل.

- لا. لمَ قد أشعر بالخوف؟ أنا لن أقفز.

- لكنكِ متوترة.

- نعم. هل أنت سعيد؟

- سيكون الأمر ممتعاً. ألن تشعري بتحسن حين تشهدي على قفزنا كلنا ووصولنا بسلام إلى الأرض؟

التفت إدي نحو المجموعة، وتابع يقول: «معظمهم يقفزون قفزتهم المنفردة للمرة الأولى. سيشعرون بسعادة كبيرة حين يصلون إلى الأرض. ستحبين الأمر».

بدا مقنعاً تماماً، لكن ماريا شكت بأن تشعر بذلك الحماس الذي تكلم عنه. نظرت نحو الأرض وهي تشعر بالحنين بينما أقلعت الطائرة نحو الأعالي.

وضع إدي سماعات الرأس في حضنها، وقال: "خذي هذه، بعد أن نقفز بإمكانك التواصل مع آدم عبرها. سيشرح لك بعض الأمور، وبإمكانك طرح الأسئلة عليه.

هزت ماريا رأسها. بدا إدي متحمساً وعيناه تبرقان من الفرح وخطواته واثقة. ضغط فوق يدها ليودعها، ثم انضم إلى المجموعة ليناقشوا القفزة التي سيقومون بها، وبعد ذلك حين اصطف الجميع متأهبين عاد إلى ماريا وقال: «تمتعي بالمنظر!».

ابتلعت ماريا ريقها وقد شعرت بالخوف يخنق حنجرتها. وضعت يدها فوق يده وشدت عليها ثم قالت: «حظاً سعيداً إدي. كن حذراً جداً... جداً... جداً».

ابتسم إدي، وإجابها: «أنا دائماً حذر».

التفتت ماريا نحو النافذة بينما فتح باب الطائرة، لم ترغب بمشاهدة ما يحدث. سمعت صوت المغامرين وهم يقفزون، ثم أقفل باب الطائرة واختفى الجميع.

استدار آدم بالطائرة نحو اليسار ليعطيها موقعاً ممتازاً لمراقبة المغامرين. تعرفت ماريا على إدي فوراً من ملابسه، وفهمت سبب اختياره لتلك الألوان الغريبة التي يرتديها. فقد ظهر شكله بوضوح مع لون الأرض، ما جعلها قادرة على مراقبة حركته جيداً.

حبست أنفاسها بينما رأته يهبط وقد أخذت معدتها تؤلمها. بعد فترة بدت كدهر بالنسبة لماريا فتح إدي مظلته. أصبحت ماريا الآن تتنفس بهدوء أكثر. لم يصل إدي إلى الأرض بعد، لكنه على الأقل لم يعد يتحرك بشكل عشوائي.

فجأة ظهر صوت آدم في أذنيها. لكنها لم تستطع سماع ما يقوله.

- ماذا قلت؟

- حصلت مشكلة صغيرة مع إدي، لكن لا تقلقي سيكون بخير.

أطلق آدم شتيمة، وتابع يقول: «هيا، إدي! أسرع بحق السماء!».

لقد طارت مظلة إدي بعيداً. حدقت ماريا بذعر بينما تابع إدي السقوط. إنه يهبط من دون مظلة...

شعرت ماريا برعب كبير لدرجة منعتها من الحركة. ثم انطلق صوت آدم من جديد في أذنها وقد أطلق شتيمة أخرى، وأدركت ماريا أنها أطلقت صرخة بدورها. فقال آدم: «إنه بخير ماريا. كان من المفترض أن يستغني عن المظلة فهي لم تكن تعمل بشكل جيد، لكنه بخير».

- ماذا؟

- لايزال أمامه متسع من الوقت. سيفتح مظلته الإضافية قريباً، وسيكون بخير.

لم تستطع كلمات آدم عبور ضباب ذعرها الكثيف. بقيت ماريا تحدق في تلك النقطة الصغيرة في الفضاء التي تمثل إدي. بالرغم من أنها لم تكن تريد النظر... لم ترغب برؤيته وهو يصطدم بالأرض. ظل يسقط ويسقط... إلى أن فتحت أخيراً مظلته الإضافية فوق رأسه.

لقد انتهى الأمر. إنه بأمان الآن.

تمتمت قائلة: «آه، يا إلهي!».

ثم ألقت رأسها فوق ظهر المقعد، وأغمضت عينيها. وضعت يدها فوق خدها حيث كانت يد إدي منذ قليل، فأدركت أن وجنتيها مبللتان بالدموع.

عندما وصلت ماريا بالطائرة إلى مكان الهبوط كان إدي بانتظارها هناك ببذلته البرتقالية وهو يبدو بحالة ممتازة. لم تهزه تلك التجربة أو تخيفه أبداً.

أما هي فكانت ترتجف كورقة الشجر وهي تغادر الطائرة، ولم تبد عليها أي علامات تدل على أنها ستهدأ قريباً. لكن الشعور بالأمان بين ذراعيه ساعدها قليلاً.

- لم أكن في خطر. لهذا السبب هناك مظلة إضافية. يبدو أن المظلة الأولى كانت مثقوبة، لذا وجدت أن أفضل حل هو الاستغناء عنها وفتح المظلة الثانية. ماريا... ماريا... أنت تخنقينني. اهدأي أرجوك... توقفي عن الارتجاف. أنا بخير.

- كيف تكون المظلة مثقوبة؟!

دفعت ماريا نفسها بعيداً عنه، ثم كتفت يديها بقوة كي تمنع نفسها من الارتجاف، وتابعت تقول: «من المفترض أن تكون المظلة آمنة! أنت أخبرتني أنها آمنة!».

- يحدث ذلك أحياناً. قد تتفتق بضع قطب خياطة من المظلة، ولا تبدو واضحة حين نقوم بتفقد الأمتعة عند التحضير للرحلة، لكن الثقب يزداد عندما نفتح المظلة في الهواء. لهذا يتزود المغامر بمظلة إضافية.

حدقت ماريا إليه بنبرة ملؤها شك فظيع، وقالت: «هل فعلت ذلك عمداً؟».

- ماذا؟

- هل قمت برمي المظلة الأولى عن تعمد... فقط كي تخيفني؟

حرّك إدي عينيه بنفاد صبر، وقال: «ماريا...!».

- هل تريد الشركة إلى هذه الدرجة؟

- لا!

- لِمَ قد تفعل أمراً مماثلاً بي؟

- حاولي التخلص من هلعك. لم أخترع الأمر. كيف تستطيعين التفكير بأمر كهذا؟

- لأنك تريد الشركة، وتريدني أن أفشل. سيكون الأمر مناسباً جداً لك إن انسحبت أنا الآن. أليس كذلك؟

أطلق إدي شتيمة وأخذ يتخلص من ثيابه البرتقالية بسرعة، ثم قال: «حسناً! سأثبت ذلك لك. تعالي معي».

لم ينتظر جوابها، بل أمسك يدها وأخرجها من المبنى.

- إلى أين سنذهب؟

- لإحضار المظلة.

أشار نحو الشرق، وقال: «إنها في مكان ما في هذا الاتجاه. لن يأخذ البحث عنها أكثر من ساعة مشي».

- هل سنمشي ساعة كاملة؟ هل أنت مجنون؟

- لديك قدمان. بإمكانك السير.

- أنا امرأة عصرية إدي. أنا لا أمشي ساعة على قدمي إلا فوق آلة الرياضة.

شد إدي قبضته فوق يدها، وحث خطاه قائلاً: «حسناً! أنت مغامرة شجاعة اليوم، لذا امشي!».

وجدا المظلة بعد نصف ساعة من المشي فقط، وبما أن إدي لم يفلت يدها طيلة تلك المدة شعرت ماريا بخيبة أمل حين رأت المظلة.

كانت المظلة عالقة في شجيرة صغيرة. أمسكها إدي وراح يبحث عن الثقب.

- هل رأيت أيتها المشككة؟ إنها ممزقة. تبدو أسوأ حالاً الآن، لذا فإن التخلص منها هو الحل الأفضل، وإلا لهبطت هبوطاً مروعاً.

بدأ التمزق يمتد على مسافة طويلة في المظلة. هزت ماريا رأسها وهي

تشعر بالتعب والغباء. ارتمت على العشب بانتظار أن ينتهي إدي من لف المظلة ووضعها في كيس أحضره معه. عليها أن تعتذر منه الآن.

جلس إدي بجانبها. أمسك خصلة من شعرها، ووضعها خلف أذنها.

- هل تصدقينني الآن؟

- نعم.

بالرغم من أنه يستطيع أن يخرب مظلته الخاصة قبل القفز، لكن لا... لا...! مهما يكن الدافع فهو لن يفعل ذلك.

- أنا آسفة لأنني اتهمتك بتعمد الأمر.

- لا بأس. ربما من الطبيعي أن تعتبري أن كل شيء وارد في الحب والحرب.

الحب... هل عليه أن يلفظ هذه الكلمة؟

لن تستطيع تحمل الوقوع في حب إدي، لكن الشعور الذي يتملكها لدى أبسط لمسة منه... الطريقة التي رأته يقفز فيها...

حتى إنها لم تلقِ ولو نظرة عابرة نحو المغامرين الآخرين وهم يقفزون.

- لماذا تبدين كئيبة؟

- آه...! أنت تعلم. الحياة... الكون... كل شيء.

- أهو قلق نفسي تجاه الوجود؟

- نعم، هذا كل ما في الأمر. قلق تجاه الوجود. لا علاقة للأمر بالتفكير بما قد يحصل لي لو تمزقت مظلتي وأنا على ارتفاع آلاف الأميال عن سطح الأرض.

فكرت ماريا في سرها، ولا علاقة للأمر أيضاً بوقوعها في حب رجل مثله. لا...! لا، على الإطلاق.

كشر إدي وقال: «ستكونين بخير ماريا. سنقفز معاً، وستكونين بأمان. بعد ذلك ستقررين إن كنت مازلت تريدين القفز بمفردك».

أرادت أن تعترض على كلامه. أرادت أن تقول إنها بالتأكيد ستقوم بالقفز بمفردها، لكنها ستكون كاذبة.

إدي يستحق الشركة. إنه يحب ما يقوم به. هو من سيحافظ على تقاليد والديها وحلم جدها.

فيما هي شاردة بأفكارها شعرت ماريا بذراع إدي تمتد خلف خصرها، وبطريقة ما أصبحت ملتصقة به.

عليها أن تعترض... هذا ما عليها فعله.

- إدي... ما الذي تفعله؟

رمش إدي بعينيه، وقال: «ستقومين بالقفز قريباً. فكرت أن بإمكاننا أن نتدرب. أنت تشتكين دائماً من لوح التزلج وتجدين أن استخدامه للتمرن أمر سخيف».

- وهل علي أن أفعل ذلك الآن؟ لا أظن ذلك!

- هيا! جربي الأمر.

أمسك إدي يديها لتشعر كأنها تقوم بالقفزة الحرة. نظرت ماريا نحوه... إنه على بعد إنش واحدٍ منها. كل ما عليها فعله هو التوقف عن شد رقبتها إلى الوراء لكي يصبحا كأنهما متعانقان.

لكن حالما بدأت ماريا بخفض رأسها حتى قام إدي بتحريك يديها وكأنها تتحكم بالقفزة الحرة، وبدأ يتكلم مجدداً عن ضغط الهواء والجاذبية والارتفاع.

- إدي!

- نعم؟

أرخت يديها من بين ذراعيه ووضعتهما خلف رأسه، ثم قالت: «حسناً! هذا يكفي... يكفي».

- ماذا؟

- لن أسمح لك بالسخرية مني.

- ماذا؟

- أنا أحذرك. إن لم تستغل أنت هذه الوضعية فأنا سأفعل.

انفجر إدي بالضحك، فقربت ماريا رأسها وعانقته وهو يضحك لأنها

رأت من المستحيل أن تمنع نفسها، ومن جهة أخرى ستكون هذه وسيلة لإسكاته.

هذه قفزة حرة بالتأكيد! إنه دافئ ورائع. أرادت ماريا أن تربط نفسها به ولا تتركه أبداً.

تمكن من النطق بكلمة واحدة فيما راح يبادلها العناق: «ماريا!».

أجابته بسرعة: «نعم».

ثم استأنفا معاً العناق من جديد. نعم... نعم...

عاد إدي يقول بغير اقتناع: «لا... هذا ليس جيداً».

لم يبد كلامه مقنعاً على الإطلاق، لولا ذلك لشعرت ماريا بالإهانة من كلامه. ابتسمت له وقالت: «ماذا تعني؟ أنا لا أوافقك... أنا أرى الأمر جيداً جداً».

بدا إدي متألماً لكنه قال: «أنت محقة. أنا أوافقك الرأي تماماً... إنه أمر جيد جداً».

- عظيم! إذاً ما مشكلتك؟

- كنت محقة حين قلت إن المسألة معقدة، وإنه يجدر بنا حل موضوع الشركة قبل هذا، بالإضافة إلى أن نبتة شائكة تغرز أشواكها في ساقي.

- إنها ليست معقدة على الإطلاق...

اقتربت ماريا منه وتابعت تقول: «... مادمنا نحن الاثنان متفقين».

صمم إدي على الابتعاد عنها، فدفعها بعيداً بضع إنشات. ظنت ماريا أنه فعل ذلك بسبب النبتة الشائكة التي انغرزت في ساقه. استلقيا بعدئذٍ على الأرض، وأخذا ينظران إلى السماء معاً وهما ممسكان بيدي بعضهما.

- أتعلم؟ لقد عنيت ما قلته حين أخبرتك أنني لا أريد التورط مع شخص مثلك.

- أعلم.

- أحقاً؟

- نعم.

- وهل توافق؟
- لا.
- لماذا؟
- أعتقد أنه عليك أن تكوني أكثر انفتاحاً في هذه الأمور.
- أريد إيجاد شخص ممل لكي أستقر معه في حياة هانئة. شخص أقصى ما يمكن أن يهمه في الوجود هو الحصول على طابع مالي نادر أو شخص يراقب المذنبات. سيكون ذلك ممتعاً أيضاً مادام اهتمامه بالمذنبات ينحصر في مراقبتها عن سطح الكرة الأرضية فقط.
- شخص يراقب المذنبات؟ هل أنت مجنونة؟
- لماذا؟
- لأنك ستنامين بمفردك.
- هـمم... ! وجهة نظر مقنعة.
- أنت تفضلين شخصاً يمضي الليل بقربك. أليس كذلك؟
- نعم، أنت محق. لا أريد أحد محبي الكواكب والنجوم.
- بإمكاني الاهتمام بجمع الطوابع المالية مجدداً. سأسأل أمي أين تخبئها لي.
- تخبئ ماذا؟
- طوابعي المالية القديمة.
- ألديك مجموعة طوابع؟
- نعم. أرأيت؟ أنا أيضاً بإمكاني أن أكون مملاً.

ضحكت ماريا وقالت: «لا، إدي... لا تستطيع. أنت لا يمكنك أن تكون مملاً. أنا آسفة. أما أنا فأستطيع. أنا مملة أكثر مما تتخيل. أعيش مع قطتي وأعمل في المكتبة. ليس هناك أمر مهم وعميق في حياتي».

- لا تستخفي بالمكتبات. إنها تحتفظ بالكثير من قصص المغامرات في العالم.
- بإمكانك رؤية الأمر بهذه الطريقة، لكن هذا لا يغير واقع أننا لسنا

متشابهين.

أدار إدي وجهه نحوها، وقال وهو يعبس: «إن لم نتورط معاً في علاقة عاطفية فما الذي سنفعله بكل هذا الانجذاب المتواجد بيننا؟».

هزت ماريا رأسها، وقالت: «لا أعلم. تجاوز هذا الأمر، وابحث لنفسك عن فتاة أخرى».

- أتعلمين... ؟ التحدث عن فتاة أخرى ليس من الأحاديث التي أفضلها عند الاستلقاء فوق الوسادة.

ضحكت ماريا، وقالت: «إدي نحن مستلقيان فوق العشب في وسط مكان غريب بعد القفز بالمظلة. أهذه فكرتك عن الاستلقاء فوق الوسادات؟».

- خذي... هذه وسادتك.

خلع إدي سترته، ووضعها تحت رأسها. بدت دافئة خلف رقبتها، وعلمت ماريا أن أفضل ما تريد القيام به الآن هو دفن وجهها في تلك السترة لتنشق عطره وتشبع منه.

- شكراً لك. والآن، ما هو حديث الوسادات المفضل لديك؟
- أنت جميلة.
- هذا ليس أمراً جديداً، لكنه ينفع معي. هيا، أكمل!
- بالنسبة لموضوع التورط مع بعضنا وإيجاد شخص آخر... لا أعتقد أنني سأجد فنانة جميلة مثلك ولديها شعرة بيضاء.
- آه! ألم أخبرك؟ وجدت شعرتين غيرها.
- إذاً، أصبحت ثلاث شعرات بيضاء. كيف سينتهي هذا معك؟
- ربما علي أن أشتري ذلك القلم السحري.

رفع رأسه إلى الأعلى وأسنده بيده، ثم أخذ يمشط خصل شعرها بأصابعه.

- سأشتري لك قلماً سحرياً إن سمحت لي باستعماله.
- أحقاً؟

- نعم.

جلست ماريا مكانها، وقالت: «لا تتحرك».

- ماذا؟

- أريد أن أرسمك.

نظر إدي حوله وكأنه يتوقع أن يظهر القلم وحاملة الأوراق من الأرض.

- الآن؟ هنا؟ ما الذي ستفعلينه. هل سترسمينني بقشة صغيرة على الأرض؟

بحثت ماريا داخل جيب سترتها، وأخرجت دفتر رسم صغير جداً، ثم قالت: «أنا أحمل هذا دائماً معي».

- إنه لا يتسع لرسم فأر.

- حسناً! هناك دائماً فسحة لرسم بطريق.

ضحك إدي، ثم صمت وأخذ يحدق في الغيوم بينما جلست ماريا لتعمل. أخذ قلمها يرقص فوق الورقة، ولم تتوقف عن الرسم حتى حين كانت تلتفت لتنظر إليه. حين ظهر إدي على الورقة بشخصيته الحقيقية لا بشخصية ماريوس شعرت ماريا بقلبها يذوب.

انتهت من الرسم ووضعت القلم جانباً. إنها صورة جيدة جعلتها تشعر بالألم من الحماس أو ربما... من الخوف!

للمرة الأولى شعرت ماريا أنها لم تعد واثقة من نفسها...

نظرت إلى رسمتها مرة أخرى، وبدأت تلهث حين أدركت ما رسمته. لم تعد واثقة إن كان قلبها يقفز بسبب الرعب أم الحماس. للمرة الأولى لم تعد واثقة من الأمر... ربما بسبب الاثنين معاً.

بدت الصورة في الدفتر واضحة جداً. نظرت ماريا إلى إدي لتجده مغمض العينين يتنفس بعمق وبشكل منتظم.

نظرت مجدداً نحو الصورة. لم يكذب فنها يوماً عليها. قوة مشاعرها تجاهه ظهرت فوق الورق... لم تعد تستطيع خداع نفسها بعد الآن...

أغلقت ماريا الدفتر الصغير وأعادته إلى جيبها قبل أن تستلقي من جديد إلى جانب إدي. حدقت به وهي تتساءل كيف حدث ذلك بينما كانت تحاول بقوة عدم التعلق به.

www.elromancia.com

٩ - لا أريدها!

زيارة ماريا المتأخرة لجيني وساموبل فتحت عينيها على واقعهما المرير. أحضرت ماريا معها لسام كتابها الأخير، لكنه حمل الكتاب رأساً على عقب وراح ينظر إليه بالرغم من أنه بدا فرحاً بألوانه. بعد قليل أخذت ماريا منه الكتاب كي تريه صفحتها المفضل، إلا أن الأمر أغضبه.

بعد أن هدأ سام ذهبوا ليجلسوا حول طاولة المطبخ، وأخذ سام يحرك أقلام التلوين بعنف فوق الأوراق. نظرت جيني إلى الخدش الذي سببه سام لماريا في ذراعها، وقالت: «أنا آسفة. هذا لا يحدث كثيراً، لكنه يشعر بالتوتر حين يأتي لزيارتي أشخاص لم يقابلهم من قبل».

- لا بأس. حصل سوء تفاهم بيني وبينه فقط، وهو لم يؤلمني.

- الأمر ليس سهلاً. أنا سعيدة لأن إدي أتى للمساعدة. أشعر بالذنب لأنني أجبرته على العودة إلى المنزل، لكننا بحاجة إليه في الفترة القادمة على الأقل. أنا لا أتوقع منه البقاء بقربنا إلى الأبد، ففي النهاية سام ليس ابنه. لكننا بدأنا بعلاج جديد والتغيير صعب.

- لكنه عراب سام، وإدي يأخذ هذه الأمور بجدية.

- نعم. ليس في حياة سام الكثير من الرجال منذ ابتعد والده عنا، لذا سيكون لإدي تأثير إيجابي عليه. لكن بالتأكيد حين يستلم إدي إدارة الشركة لن يبقى لديه الكثير من الوقت لنا. هو يقول إنه سيجد الوقت دائماً، لكن لا أعرف...

- إذاً أنت تعلمين بشأن بيع الشركة؟

- نعم. يبدو الأمر كالتدخل الإلهي.

ضحكت ماريا بتوتر، وقالت: «تدخل إلهي؟».

- نعم. هكذا سيتمكن إدي من البقاء في المدينة، بينما يقوم في الوقت نفسه بما يحبه.

- آه...!

نظرت ماريا نحو سام، وعضت شفتها. بالطبع! لهذا السبب يحتاج إدي إلى الشركة. لِمَ لم يخبرها بذلك؟

رن جرس هاتفها داخل حقيبتها ما لفت انتباه ساموبل. ساعدها في إخراج الهاتف من الحقيبة وضغط زر الإجابة قبل أن تعرف حتى من المتصل. لكنه سمح لها بأخذ الهاتف لتتكلم مع المتصل.

- أبي... مرحباً!

- مرحباً حبيبتي. كيف حالك؟

عبست ماريا، إذ نادراً ما يتصل والدها بها فهو لا يحب التحدث عبر الهاتف. كانت أمها تتصل بها أما والدها فلا.

- أنا بخير. هل كل شيء على ما يرام؟

- تكلمت مع الشبان في المكتب هذا الصباح...

- الشبان؟ أي شبان؟

- إدي وآدم. يبدو أنكم واجهتم بعض المشاكل ذلك اليوم.

- أتعني التمزق الذي حدث في مظلة إدي؟

أغمضت ماريا عينيها وأجفلت لمجرد تذكر تلك اللحظة مجدداً. تابعت تقول: «نعم. بدا ذلك مخيفاً جداً».

- هذا ليس غريباً. كثيراً ما يحدث ذلك. لا داعي للقلق.

- كثيراً ما يحدث؟!

- حسناً! ليس كثيراً، لكنه يحدث في بعض الأحيان. مما سمعته، أنت لم تتحملي الأمر بشكل جيد...

لقد أخبره إدي! ما شأنه كي يتكلم عنها مع والدها؟

- تعاملت مع الأمر بشكل عادي، شكراً لك.

سمعت والدها يتنهد.

- ماريا! فزعت حتى الموت. أليس كذلك؟

- حين ظننت أن إدي سيتحطم فوق الأرض ويموت، نعم... فزعت!

- لِمَ لا تستسلمين الآن؟ تعلمين أنك لن تتحملي الأمر، ونحن نعلم هذا أيضاً، وإدي يعلم وكذلك الجميع.

إدي يعلم؟ ما الذي أخبره لوالديها بالضبط؟

- أبي...!

أصبح صوت والدها أجش، ثم قال: «أرادت والدتك أن تتأكد بأنني سأقول لك إننا نحبك كما أنت، في حال كنت تقومين بهذا لتبرهني لنا شيئاً ما. أعتقد أنها بدأت تقرأ كتباً توجيهية للوالدين. لقد تأخرت على ذلك. ألا تظنين؟ لكن على أي حال، إن تراجعت الآن سننسى كل شيء».

- أبي...!

منعت ماريا نفسها من التنهد، وحاولت إظهار المزاح في صوتها. ألا يريدانها حتى أن تنجح بالأمر؟ تابعت تقول لوالدها: «أبي، أنا لن أتراجع. لا مجال لذلك. لذا كف عن إرهاق نفسك معي، وانقل حبي لأمي. إلى اللقاء».

أعادت ماريا الهاتف إلى حقيبتها وهي تشد أسنانها على بعضها. يا لهم من مغامرون! بالطبع سيدعمون بعضهم.

- ماذا قلت عن تحطم إدي وموته؟

سألتها جيني ذلك وعيناها مفتوحتان بقوة.

أجفلت ماريا حين انتبهت للطريقة التي قد يبدو فيها الأمر لجيني.

- أنا آسفة، الأمر ليس كما يبدو. ذهبت مع إدي لمشاهدة القفز بالمظلات. حسناً...! لقد راقبتهم من الطائرة. كانت مظلته مثقوبة، واضطر إلى استخدام المظلة الاضافية. هذا كل شيء. لم يقع خطر حقيقي. على الأقل هذا ما أخبروني به.

- إنه حذر جداً... على الأقل هذا ما كان يفعله على مر السنين

الماضية، وحتى الآن هو بخير.

- نعم. أعرف ما تقوله الاحصائيات، لكن يصعب تذكر تلك الاحصائيات حين تشاهدين أحداً يواجه خطباً ما. لذا... ربما شعرت بالذعر.

هناك المزيد من الحسابات الجديدة التي عليها القيام بها.

* * *

- لا، نيكول. توقفي عن التدخل بما لا يعنيك. لن يحدث هذا. مهما أردت ذلك لن أدعه يحدث. ألم تفهمي ذلك بعد؟

أخذت نيكول تقترح ارتباط ماريا بإدي مجدداً، وراحت تطرح الكثير من الأسئلة وتقول بعض التعليقات التي تصيب ماريا بالجنون.

- ما الذي تقصدينه بقولك إنك لن تدعي ذلك يحدث؟ أنت تريدينه وهو يريدك. إذاً، لِمَ لا؟

لا أمل بنيكول. إنها رومنسية إلى أقصى الحدود.

- هل تعتقدين أنني عمياء؟ أنت واقعة في حبه بقوة.

- لا! لست كذلك.

- بلى!

- لن يحدث هذا.

تأوهت نيكول، ونظرت نحو السقف، ثم أغلقت باب الثلاجة بقوة.

- لماذا؟ ماريا، لا تخبريني بتلك الأعذار الغبية الواهية وبأنكما مختلفان. لا تخبريني أنه العدو الذي يريد والداك بيعك له. أعطني سبباً مقنعاً يمنع حدوث ذلك.

تنهدت ماريا. لم يعد إدي عدواً حتى... ليس تماماً... وهذا كافٍ.

- لأنه كما هو وأنا كما أنا.

- هذا هو واقع الجميع. أليس كذلك؟ جميع الناس هم أنفسهم. أعني أنت تحبينه لما هو عليه. أليس كذلك؟ إن لم يكن كما هو لما أحببته، لذا يجب أن يحدث الأمر لأنه «كما هو».

- نيكول، أنا لم أفهم أي كلمة مما قلته.

حركت نيكول يديها بنفاد صبر، وقالت: «كل ما أردت قوله هو أنك وإدي تشكلان ثنائياً رائعاً».

- نحن على طرفي النقيض من بعضنا تماماً.

- نعم، وهذا سبب جيد.

ثم أكملت: «يا إلهي يبدو من الصعب جداً إبعاد المتناقضين عن بعضهما».

- سيضجر برفقتي.

تعاملت نيكول مع الموضوع بحركة سريعة من عينيها وبإطلاق شتيمة.

- هاه! إنها فكرة سخيفة. أنت لست مملة ماريا. من أين أتيت بتلك الفكرة أصلاً؟

- أنا لست...

- أعطِ الرجل فرصة. إدي لا يجدك مملة. مع أنني التقيت به مرتين فقط، لكنني أضمن لك أنه لا يجدك مملة.

- فكري بالأمر نيكول. أنا أكره الأشياء التي يحبها. ما نوع الأمور التي سنفعلها معاً؟ لا انتظري: لا تجيبي عن هذا السؤال. أعرف ما الذي تفكرين به.

للمرة الأولى لم تأخذ نيكول الفرصة لتقترح أمراً ما، بل قالت ببساطة: «العمل في المغامرات هو مهنته وليس حياته».

- هنا أنت مخطئة تماماً. مهنته هي حياته. تماماً مثلما كانت حياة أمي وأبي.

- بالضبط! ها أنت قلتها... كما كانت. إذاً، فهما سيتقاعدان لأن لديهما حياة أخرى، وأنا واثقة أنهما متشوقان لها.

وجهة نظر مقنعة. لقد تكلمت مع والدتها بالأمس، وبدت هذه الأخيرة متحمسة ووالدها لما سيفعلانه حين يتقاعدا. قالت والدتها: «سيكون لدينا متسع من الوقت لنقوم بكل ما نريد. ربما سنقوم برحلة

بحرية. هل تتخيلين هذا؟ رحلة بحرية مليئة بالرفاهية بدلاً من التجذيف في زورقٍ عبر نهر في الأدغال مليءٍ بالتماسيح».

هل من الممكن أن يحب إدي القيام برحلة بحرية مليئة بالرفاهية؟ هل سيستمتع بها أم ستكون أمراً مملاً بالنسبة إليه؟

- كما أن إدي سيستقر هنا. سيشتري شركة، وهذا التزام جيد.

- هل تحاولين إخباري أننا نلائم بعضنا لأنه سيأخذ مني شركة عائلتي؟

كتفت نيكول يديها، وقالت: «لا أصدق كم أنت عنيدة. أرجوك، أخبريني أنك على الأقل ستمنحينه فرصة لمغازلتك».

- ماذا؟

- نعم. اسمحي له بمغازلتك على الأقل، وانتظري ما سيحدث.

- لم أفكر بالأمر بهذه الطريقة.

- آه... ! صدقتك!

- حسناً! ربما خطرت ببالي الفكرة مرة أو مرتين.

- عليك القيام بهذا وإلا ندمت لاحقاً.

على ماريا أن تعترف بأن نيكول أظهرت وجهة نظر لابأس بها.

اتخذت ماريا قرارها. بإمكان إدي الحصول على الشركة. إنه بحاجة إليها، وهو يريدها وسينجح في العمل فيها أكثر منها. بدا الوضع صائباً الآن، وشعرت ماريا بالسعادة بسبب قرارها.

لكنها اتخذت قراراً آخر، بالرغم من أنها ستحتفظ بحقها في تغيير رأيها لاحقاً. إنه قرار مخيف، شجاع و... غبي، لكنه سيجعل ماريوس يشعر بالفخر.

ستقوم ماريا بالقفز في جميع الأحوال، حتى قبل أن تخبر إدي أنها لا تريد الشركة.

نعم، ستقفز. فقط كي تشعر بالفخر بنفسها، ولتقول لإدي بصوت يهمس في أذنه إنها تستطيع القيام بذلك.

أصبحت القفزة على بعد يوم واحد فقط. ستكون هذه آخر جلسة رسم

لهما. كاد الكتاب ينتهي، ولن تحتاج إلى إدي بعد الآن.

لكن بالرغم من ذلك لم تستطع ماريا مقاومة القيام بجلسة رسم أخرى. يسود المكان جو عاطفي غامر أثناء وجودهما معاً وهي تنظر إليه وتنقل تعابيره على الورق.

سوف تفتقد ماريا لهذا الأمر، وسوف تفتقد إدي...

قالت ماريا تحدث إدي: «نيكول تعتقد أنه يجدر بنا الاستسلام لمشاعرنا. انظر إلى اليمين قليلاً».

بدت النظرة على وجه إدي غير مناسبة لأي مشهد من مشاهد القصة، لكنها فتحت صفحة جديدة ونقلتها بجميع الأحوال لأنها لا تقدر بثمن.

قال إدي: «أحقاً؟».

- نعم.

- هذا مثير للاهتمام. هل قالت أي كلام حكيم آخر في ما يخصنا؟

هزت ماريا رأسها وقالت: «لا، ليس تماماً. أعتقد أنها اعتبرت أن بإمكاننا الاهتمام بالتفاصيل بأنفسنا».

- أعتقد أن بإمكاننا ذلك. ربما... إذا استعنا ببعض المراجع وقمنا ببعض الأبحاث والاختبارات...

- يبدو عملاً شاقاً.

- لطالما كنت بارعاً في الأعمال التي أحبها.

حاولت ماريا تغيير الموضوع، فقالت: «كدت أنتهي. ستكون هذه آخر مرة أحتاج إليك فيها».

بدا إدي خائب الأمل مثلها تماماً.

- يا للأسف! بدأت أحب هذا الاهتمام.

- إذا أدمنت الوضع أنا واثقة أنك ستجد من يحدق بك بشكل مستمر. فمدرسة الفنون تبحث دائماً عن نماذج للرسم.

- لكنهم يبحثون عن أشخاص غير معنيين بمن يرسمهم. أليس كذلك؟

- نعم. ألديك مشكلة مع الأمر؟

- لا أعلم. لم أجرب الأمر إلّا معك.

نظرت ماريا نحو دفترها غير عالمة بما ستفكر تماماً. بالكاد امتلكت الشجاعة لتفعل ذلك، لذا اكتفت بابتسامة صغيرة وهي تحرك قلمها على شكل دوائر مدعية أنها فنانة جدية.

- مازلت أعتقد أن علينا الخروج في موعد كما اقترح والداك.

- لن أقوم بأي شيء يقترحه والداي. ما الخطب باقتراح نيكول؟

- لا شيء، أعتقد أنها فكرة جيدة.

ابتسمت ماريا وقالت: «ممتاز. هل فكرت يوماً بالرومنسية خلال القفز بالمظلة؟».

- ماذا؟

- هل قمت بمعانقة إحداهن وأنت تقوم بالقفز معها؟

- آه... لا!

- أمر مؤسف. ثلاثمئة قفزة، ولم تقم بذلك؟

- أنت محقة. كيف نغفل عن أمر مماثل؟ علينا إضافته إلى البرنامج. المعانقة أثناء القفز.

- فكرة رائعة. ستكون فكرة جديدة تحقق نجاحاً باهراً مع الأزواج. بإمكانهم التمادي في العناق مادام ذلك لا يؤثر على المظلة بالطبع.

استلقى إدي إلى الخلف، وحدق بها وهو يكتف ذراعيه، ثم تابع يقول: «ماريا لا أعرف إن كنت قد لاحظت، لكننا نجري محادثة غريبة من نوعها».

- سأنتقل إلى الصفحة ٥٩: ماريوس يشعر بالحيرة من تصرفات فيولا، وهو يحاول بأقصى جهده أن يفهم الشيفرة العجيبة التي تستخدمها النساء، والتي تتكلم بها فيولا.

- فهمت. أنت تتفوهين بأي شيء يخطر ببالك كي تحصلي على تعابير الوجه التي تريدينها مني.

- ليس تماماً.

بقي إدي صامتاً لفترة وهو يحدق بها، ما جعلها تشعر بالدفء لدرجة لم تعد تستطع بعدها أن تتابع الرسم. حاولت الحفاظ على هدوئها حتى نظرت نحوه أخيراً ورأته يبتسم بطريقة جعلت عظامها تذوب.

اقترح بلطف: «اقتربي مني».

قالت ماريا لنفسها، نعم ستفعل... لكن لاداعي للعجلة.

- لماذا تريدني أن أقترب؟

- تعالي وسترين.

تململت ماريا في مكانها، وأمسكت دفترها وهي تنظر إليه. إنهما يتبادلان الابتسامات وكأنها لغة خاصة بينهما، لكنها مع ذلك أجلت الاقتراب منه، أما هو فلم يضغط عليها. جلسا بذلك الشكل لفترة طويلة، بينما أخذ جو الغرفة يزيد دفئاً وحماوة.

أخيراً وضعت ماريا دفترها جانباً واقتربت منه. غرقت على الأريكة بجانبه، وأخذت تمرر يديها فوق وجهه وكأنها تملك الحق كاملاً بفعل ذلك. سيطرت عليهما مشاعرهما للحظات حتى بدأ صوت مفتاح نيكول يُسمع وهو يدور في قفل الباب. آه... ليس مجدداً!

قفزت ماريا مبتعدة عنه، وملست ملابسها. شعرت كأنها مراهقة في الخامسة عشرة من عمرها، أما إدي فقال: «أحب نيكول واقتراحاتها، لكن عليها العمل على توقيتها أو ربما علينا البدء بتمضية الوقت في منزلي أنا».

ألقت نيكول نظرة واحدة نحوهما ثم اختفت في غرفتها، لكن مزاجهما كان قد تعكر.

عادت ماريا لتنظر في دفترها، بينما استلقى إدي في مقعده إلى الخلف. تأوه، ثم أغمض عينيه. بعد ذلك فتح عينيه، لكنه لم ينظر إلى ماريا وكذلك هي لم تفعل، كأنما اتفقت عيونهما على اللقاء لاحقاً.

تمنت ماريا ألا يطول الوقت قبل لقائهما من جديد.

* * *

ضغط إدي سماعة الهاتف فوق أذنه وكأن ذلك سيخلصه من غضبه من

هارلان، وقال: «ما الذي تتحدث عنه؟ ألم نتفق على تأجيل الاتفاق بسبب ماريا؟».

- بسبب ماريا؟ لاداعي لهذا.

أغمض إدي عينيه بقوة. إنه يحب ذلك الرجل كأبيه، لكن... لماذا تراه يتصرف على هذا النحو؟

- هارلان! أنا الآن في السيارة... في طريقي لأقل ماريا. سنقوم بالقفزة في أقل من ساعة.

ساد الصمت بينهما لفترة، ثم قال هارلان: «هل ستقوم ماريا بالقفزة فعلاً؟».

- نعم!

- هل أنت جدّي في ما تقوله؟

- جدّي تماماً.

- يصعب تصديق الأمر. لم أعتقد أنها ستقوم فعلاً...

- حسناً! ستفعل هذا. ستقوم بذلك لأنها تعتقد أنك ستغير رأيك بعدها.

تنهد هارلان، وقال: «لم أعتقد فعلاً أنها ستصل إلى هذه المرحلة. إنها غلطتي. سأتكلم معها».

قال إدي: «أنا سأتكلم معها».

يعلم إدي أن هارلان لا يتحلى بالدبلوماسية مطلقاً.

- لا! أنا من تسببت بهذا كله، ويجدر بي أن أصحح خطئي. هي ابنتي في النهاية.

- لكن...!

أصبح صوت هارلان أكثر حزماً، وتمكن من إسكاته باستخدام تلك الخدعة القديمة حيث يخاطبه باستعمال اسمه الكامل: «إيدموند، دع الأمر لي. إنها ابنتي، وهذا عملي أنا».

لدقيقة شعر إدي أنه في الثانية عشرة من عمره، ثم عاد إلى الواقع. منع

نفسه من قول شيء قد يندم عليه. هارلان هو من أحدث هذه الفوضى، وبإمكانه تصحيح الموقف. حان الوقت لتصفية الأجواء بين الوالد وابنته.

- حسناً! أخبرها أنت.

- نعم، سأفعل. سأتصل بها بعد القفزة.

- ماذا؟

- تريد ابنتي أن تثبت نفسها، ولا أريد أن أفسد الأمر عليها.

- هارلان...!

- ثق بحكمي. حظاً موفقاً. استمتعا بقفزتكما!

أقفل إدي الخط، ثم وضع هاتفه في جيبه وهو يشعر بالذهول. ماذا الآن؟

ساعدته ماريا بالأمس في توضيب المظلة. بدأت تأخذ الدروس بجدية في الفترة الأخيرة وتستعد بتصميم أعجب إدي به كثيراً، لاسيما وهو يرى الخوف المتخفي وراء ذلك.

توقف أمام منزلها، وشدّ أصابعه فوق مقود السيارة محاولاً درس خياراته. هل يدع هارلان يخبرها على طريقته، أم يذهب ليخبر ماريا أنها ليست مضطرة إلى القيام بالقفزة لأنها في مطلق الحالات لن تفوز بالشركة؟

لم يحب إدي كلا الخيارين.

ربما من الأفضل أن يأخذها إلى مكان القفز ويرى كيف يبدو الوضع. ربما ستتراجع بعد القيام بالقفزة وتحل الأمور بشكل جميل.

تردد إدي كثيراً حتى أتت ماريا فجأة وجلست في المقعد المجاور. ابتسمت له تقريباً بالطريقة نفسها التي ابتسمت له فيها بالأمس. لم يستطع إدي إلا أن يبادلها ابتسامة رجولية صادقة بالرغم مما يخفيه عنها.

أخذت نفساً عميقاً وقالت: «حسناً! اليوم هو اليوم المنتظر».

سألها: «هل أنت واثقة أنك تريدين القيام بهذا مئة في المئة؟».

هزت ماريا رأسها، ثم رفعت ذقنها بتصميم وقالت: «نعم، أريد القيام بهذا. أنا خائفة حتى الموت، لكنني أريد أن أثبت أنني أستطيع القيام

بذلك».

نظرت إلى ساعتها، وقالت: «علينا أن نسرع. لا أريد أن نتأخر».

وجد إدي نفسه يقود السيارة إلى مكان الانطلاق، وهو يسخر من نفسه. بينما أخذ جزء صغير سيء في داخله يهمس بأذنه ليأخذ الأمور ببساطة، ففي النهاية هي من أرادت القيام بذلك.

ربما ستحب ماريا القفزة.

بالطبع! إن أحبتها سيقعون جميعاً في المشاكل...

أخذ إدي يتململ في الوقت الذي وصلا به إلى ساحة انطلاق الطائرة. لكن حين أمسكت ماريا المظلة واتجهت نحو الحشود لتلقي التحية على الذين سيقومون بالقفز معهما كان قد فات الأوان على تغيير المخطط.

آه... يا إلهي! إنها فعلاً هنا. ستقوم بتلك القفزة فعلاً! كل التدريبات وكل الكلام والنظريات سيصبح فجأة حقيقة.

أمسكت ماريا بذراع إدي، وتمسكت به مع أنهما كانا لايزالان خارج الطائرة. وضع إدي يده فوق يدها، وضغط عليها. نسيت ماريا الخوف للحظة لأنه راح يبتسم لها.

- هل أنت متوترة؟

- سأصبح كذلك إن فكرت بالموضوع.

كان جزء منها يتقبل الواقع، أما الجزء الآخر فيريد إبهامها أنهما في مكان آخر. ليسا في مدرج الطائرة. لا... وهذه ليست مظلة في يدها.

ليست مضطرة إلى القيام بالأمر. ذكرت نفسها بذلك مجدداً. زيارتها لجيني غيرت كل شيء، فقد اكتشفت أن السبب الذي يدفع إدي إلى أخذ الشركة هو رغبته بمساعدة شقيقته في أوقاتها العصيبة. جعل ذلك الأمر القرار سهلاً على ماريا.

أما القرار الآخر بالقفز فلم يكن سهلاً. أرادت أن تتراجع، لكنها أخذت تؤجل القرار بشكل مستمر حتى أتى أخيراً هذا النهار وأتى إدي ليقلها من منزلها وأصبحت اللحظة قريبة جداً.

إنها هنا الآن، وهي لن تتراجع.

- ستسير الأمور بشكل جيد. ستكونين بخير. أعدك بذلك. سنستمتع بوقتنا.

هزت ماريا رأسها. لم تكن واثقة كم سيكون الأمر ممتعاً لها. لكنه على الأقل سيكون برفقتها طيلة الوقت.

لم تعد ماريا واعية بشأن كل ما أخذ يحصل بعد ذلك: اللقاء بالمغامرين الآخرين، الصعود إلى الطائرة... حتى إنها لم تأخذ المقعد المجاور للنافذة هذه المرة. بل كانت نظراتها معلقة بساعة قياس الارتفاعات الذي تضعه في رسغها وهي تراقب زيادة الارتفاع كلما حلقت الطائرة. بعد ذلك جعلها إدي تقف، وربطها به تماماً كما تدربا من قبل.

أصبح جسده ملتصقاً بظهرها ويداه حول خصرها. همس في أذنها قائلاً: «أنت تذكرين كل ما علمتك إياه. أليس كذلك؟».

هزت ماريا رأسها، وضحك إدي ثم قال: «لا بأس... هذه المرة على الأقل. هل لديك سؤال أخير؟».

هزت رأسها مجدداً. التفت ذراعاه حولها، وضمها جيداً وهو يقول: «لا تقلقي. سأكون معك طيلة الوقت».

شعرت ماريا كأن شفتيها تجمدتا، لكنها كافحت كي تتمكن من تحريكهما: «هل ستغازلني أثناء القفزة وحتى الوصول؟».

من المفترض أن تكون تلك ملاحظة عرضية، لكنها بدت صرخة يأس.

ضحك إدي وهو يشعر بالدهشة: «هل سيساعدك ذلك؟».

- قد يساعدني في نسيان فكرة الارتطام بأرض صخرية عند الهبوط.

- على الأرجح أنها ليست فكرة جيدة. قد يجعلني ذلك أنسى أمر المظلة.

أجفلت ماريا، فتابع إدي يقول: «آسف! ما كان يجدر بي قول هذا. سنكون بخير. سبق أن قمت بأكثر من ثلاثمئة قفزة... تعلمين ذلك، ولم نعانِ يوماً أكثر من التواء طفيف في الكاحل».

بدا كل شيء غير حقيقي في اللحظة التي فتح بها باب الطائرة. بدا كأنه شيء تشاهده من بعيد. تكلم إدي في أذنها وهو يعطيها الفرصة الأخيرة للتراجع، لكنها هزت رأسها وعيناها متعلقتان بالغيوم في الخارج. بدأ الهواء البارد يدخل نحو الطائرة.

فجأة أصبحا خارج الطائرة...

بدا الأمر سيئاً... تماماً كما تخيلت. جعلها الخوف تتجمد. جزء صغير من عقلها كان ممتناً لأنها قفزة مشتركة مع إدي، لأنها لم تجرؤ على النظر إلى ساعة قياس الارتفاع أو على الامساك بالحبل الذي يفتح المظلة أو حتى القيام بأي شيء من الأشياء التي علمها إياها. قامت ماريا فقط بإغلاق عينيها بقوة، وحاولت أن تتنفس وهي تحاول رفع معنوياتها بتذكير نفسها أنها ليست وحدها.

بعد ذلك فُتحت المظلة، وسُحبا إلى الأعلى ليبدآ بالنزول على مهل.

فتحت ماريا عينيها، لكنها أغلقتهما مجدداً بسرعة.

ضمها إدي بذراعيه، وصرخ قائلاً: «هل كل شيء بخير؟».

ما الذي عساها تقوله؟

لن تستطيع التحكم بصوتها، لذا رفعت إبهامها لتشير إلى أن كل شيء بخير. إنها حية حتى الآن، وهذا أكثر مما تتمناه. أبقت عينيها مغلقتين رغم تعليقات إدي الحماسية عن المناظر الخلابة.

أخيراً أصبحا قريبين من الهبوط. لأول مرة تذكرت ماريا تعليماته. رفعت قدميها كي تلقيهما على الأرض. كان الهبوط قاسياً واصطكت أسنانها ببعضها لكنهما تمكنا من البقاء واقفين. شعرت بالفرح يغمرها لأنها لم تقم بكسر كاحلها كسرين أو ثلاثة، لكنها تعثرت قليلاً واستلقت على أطرافها الأربعة.

بدأ إدي يجمع المظلة. انتزع خوذته، وابتسم لماريا. لقد نجحا، وقد وصلت بسلام إلى الأرض.

- قفزة جيدة! قمتِ بعمل رائع!

لم تتمكن ماريا من الكلام. خلعت خوذتها، ورمتها على الأرض، ثم أدارت ظهرها وركعت على ركبتيها وأخذت تتقيأ.

راقب إدي ماريا وهي تترنح حتى وصلت إلى مقعد مجاور لها، ثم غطت وجهها بيديها وراحت ترتجف. شتم نفسه ملايين المرات في سره لأنه عرضها لهذا الموقف. كان يعلم أنه ما من فائدة لتعرضها لهذه التجربة.

بدا وجهها شديد البياض، وبدا كأنها لم تعد تستطيع المشي من شدة الخوف. لم يكن هناك أي نوع من الحماس الذي يراه عادة عند الذين يقفزون للمرة الأولى.

ركع إدي بجانبها، وربت فوق ركبتها ثم قال: «هيه! هل أنت بخير؟».

تمتمت وهي تشيح بنظرها عنه: «تباً!».

- لم تستمتعي كثيراً. أليس كذلك؟

وقفت ماريا، ودفعته بعيداً من دون أن تنظر نحوه.

- دعينا نذهب لنجد المغامرين الآخرين ونعود.

إنها بالتأكيد تحتاج إلى بعض الوقت لتتمالك نفسها.

- الطريق من هنا... علينا لقاؤهم هناك.

بقيت ماريا صامتة طيلة رحلة العودة، ثم ابتعدت عنه بينما كان منشغلاً بوضع المظلة في مكانها، لكنه عاد فأمسك بها بجانب الباب وسألها: «إلى أين تذهبين؟».

ظلت تتجنب النظر في عينيه، ولم تكن تلك علامة جيدة.

تنهدت ماريا، وقالت: «اسمع إدي...! أنا أريد أن أبقى بمفردي. أريد أن أستلقي وأرتاح».

مسحت جبهتها بيدها، وتابعت تقول: «لا أشعر أنني بحالة جيدة».

- أتينا معاً في سيارتي. انتظريني خمس دقائق لأنهي عملي، وسأقلك إلى المنزل.

هزت رأسها، وقالت: «اتصلت بسيارة أجرة للتو. ستصل بعد ثوانٍ».

لم يشأ إدي أن تغادر بهذه الطريقة، لكنها بدت شاحبة وحزينة لذا لم يعترض.

- حسناً! لكنني سآتي لزيارتك في المساء عند الساعة الثامنة.

- لا!

ردد إدي خلفها: «لا؟!».

أهذا ما قالته؟ حسناً! لن تفلت منه بهذا الشكل.

www.elromancia.com

١٠ - و.. طار البطريق

ما إن وصلت ماريا إلى البيت حتى سحبت قابس الهاتف، ثم أخذت حماماً طويلاً هادئاً في مياه مليئة بالرغوة وبعطر اللافندر. وبعد جهد تمكنت من الخروج من المغطس لأن المياه أصبحت باردة، فلفت جسمها بمنشفة سميكة.

مسحت الطبقة الضبابية عن المرآة، ونظرت إلى انعاكس صورتها فيها. لابد أن هذا اليوم قد أضاف العديد من الشعر الأبيض إلى رأسها.

كان الوقت لايزال بعد الظهر، لكنها لبست بيجامتها واستلقت فوق الأريكة لتشاهد التلفزيون. فكرت في تحضير البوشار لأن معدتها تحتاج إلى ما تأكله، لكنها خشيت أن يعاودها التقيؤ إذا ما أكلت أي شيء.

شاهدت ماريا ثلاث مسرحيات تلفزيونية، بعدها تمكنت من جعل عقلها يصل إلى مرحلة جيدة من الراحة. بعد ذلك وصلت نيكول إلى المنزل، وأتت كي تجلس بقرب ماريا.

- هاي، هل تقيمين حفلة بثياب النوم؟

- هـمم...

- وتشاهدين مسرحيات تلفزيونية؟ تبدو حفلة رثاء خاصة. كيف كانت القفزة؟

- ليست باهرة تماماً.

انتظرت نيكول للحصول على التقرير الكامل، لكن ماريا لم تتكلم.

- حسناً! هل قمت بالقفز؟

- نعم، فعلت. آه... يا إلهي! قمت بذلك فعلاً.

- أهنئك على ما فعلته.

قررت ماريا ألا تشكرها على تهنئتها. إنها لا تستحقها. كل ما فعلته هو التعلق بإدي طيلة الوقت، وحتى ذلك لم تتقنه حتى النهاية.

- ما هو الجزء الذي لم تنجحي فيه؟

- تقيأت حالما وصلت إلى الأرض.

- آه!

- نعم. مباشرة أمام إدي.

تغلغلت ماريا أكثر في الأريكة. كانت القطتان تقومان بالألعاب الخاصة بهما وتتجاهلانها تماماً.

- لكنك قمت بها، وهذا أهم ما في الأمر. أليس كذلك؟

أجابت ماريا بعدم حماس: «نعم».

- إذاً، لماذا تبدين كئيبة؟

- رآني إدي وأنا أتقيأ.

- ما المشكلة في ذلك؟

- بدا الأمر مهيناً... بدوت غبية.

- لا تكوني سخيفة، فالأمر ليس مهماً. إنه عمله. أؤكد لك أن ذلك حدث كثيراً أمامه من قبل. على الأقل أنت لم تتقيأي عليه وأنتما في الهواء معاً. آه... هل بإمكانك أن تتخيلي كم كان ليبدو الأمر مقرفاً؟

- كان الأمر سيئاً.

بدت كلمة سيء قليلة بالنسبة لماريا. تابعت تقول: «كل شيء بدا سيئاً. اعتقدت أن القفزة الحرة ستكون أسوأ ما في الأمر، وكانت فعلاً كذلك، لكن تبين أن هناك العديد من الأمور السيئة بقدرها تماماً. كل شيء بدا سيئاً: الانتظار في الطائرة كان أشبه بالجحيم وكذلك القفز و... بعد أن فتحت المظلة انتابني الشعور بالذعر بالرغم من معرفتي أن الوضع هناك - وفقاً للاحصائيات - هو أكثر أماناً من قيادة السيارة على الطريق العام بملايين المرات.

انقلبت ماريا لتنام على بطنها، ثم دفنت رأسها تحت الوسادة وتأوهت قائلة: «لماذا أنا جبانة إلى هذه الدرجة؟».

- لا تعذبي نفسك من أجل هذا. أنت تتشاركين هذه المشاعر مع معظم المخلوقات البشرية. أنا واثقة من أن الكثير من الناس لا يجرؤون على تجربة القفز بالمظلة، وأن معظم من يخوضون تلك المغامرة يقومون بذلك لمرة واحدة. أنا نفسي لا أرى ما يجذبني إلى ذلك.

عادت ماريا لتنام على ظهرها وتحدق في السقف، ثم قالت: «حتى إنني لم أقم بقفزتي المنفردة بعد».

بدأت الشكوك تساورها. فكرت بالسبب الأساسي الذي جعلها تقدم على هذا. أرادت أن تهرب من إدي وتختبئ إلى الأبد.

إن لم تستطع تحمل القفز لمرة واحدة فقط فهل ستتحمل إدي؟

لا!

قالت فجأة: «لا أستطيع القيام بهذا. لن أقوم بالقفزة المنفردة. سأستسلم. أعني... إنه أمر مستحيل. سيكون من الجنون أن أكمل حتى النهاية. سأتوقف هنا».

- آه، ماريا! هل أنت واثقة؟

- هذا العمل ببساطة ليس لي. لا أريد القيام بهذا، ولم يكن يجدر بي ذلك. لمَ أعرض نفسي لهذا النوع من العذاب؟ ألكي أثبت نفسي لهم فقط؟

- ماذا عن الشركة؟

هزت ماريا رأسها: «لم تعد تلك هي القضية. سبق وقررت أنني سأتركها لإدي. إنه بحاجة إليها، أما أنا فلا. لكنني أردت أن أقفز. أنا لست شجاعة ولست مغامرة. أنا جبانة».

- أنت لست جبانة.

رمت نيكول وسادة على وجه ماريا، وتابعت تقول: «توقفي عن التقليل من أهميتك فقط لأنك لا تحبين الشعور بالخطر. إنه شعور يحب البقاء».

ضحكت ماريا سريعاً. ربتت نيكول على ساقها، وقالت: «الآن وقد وضعنا هذا الأمر بعيداً عن الطريق. ماذا بشأن إدي؟ أخبريني عنه».

- لا شيء بخصوصه.

- هيه... ! أنا أقاطعكما في كل مرة. هل تذكرين؟ لا تقولي لي لا شيء.

أبقت ماريا عينيها مغلقتين. لم ترغب بأن تتذكر. ثم قالت: «كدت أتقيأ عليه اليوم. هذا يثبت أننا غير ملائمين لبعضنا. أنا لا أريد أن أراه مجدداً... بالطبع، سيؤلمني ذلك. أعتقد أنني مغرمة به في النهاية».

- ماريا! لا يمكنك أن تقولي إنك لا تريدين رؤيته وإنك تحبينه في الجملة نفسها.

- لن ينجح ذلك. كيف تعتقدين أنه يشعر تجاهي؟ كيف سيحترمني بعد ما حدث؟ كيف سيفكر بعد الآن بأننا مناسبين لبعضنا؟

- اسمعي! ان كان سيفقد احترامه لك فقط لأنك خفت قليلاً....

- خفت قليلاً؟ لن تتمكني من تخيل ما كان عليه الوضع.

- آه! أنت تحتاجين إلى الشوكولا. أليس كذلك؟ الكثير من الشوكولا الداكن.

- نعم، أنت محقة. هل لدينا البعض منه؟

- لا. سأذهب لشراء الشوكولا.

- أنت ملاك!

وقفت نيكول، لكنها ترددت ثم قالت: «ما الذي قاله إدي عن القفزة؟ وعن المشكلة الصغيرة... في معدتك؟ هل قال أي تعليق؟».

- قال إن علينا أن نتكلم، أما أنا فقلت لا. هذا كل شيء.

فتحت عينيها بتنبه مفاجئ، وتابعت تقول: «تذكرت... هدد بزيارتي الليلة. إن أتى إلى هنا... لا تسمحي له بالدخول. قولي له إنني لست موجودة».

- لكن...!

رفعت ماريا يدها، وقالت: «ليس الآن. سأتكلم معه لاحقاً حين أصبح جاهزة. أعدك. لكن ليس الآن».

رمقتها نيكول بنظرة عدم اقتناع، ثم قالت: «سأذهب لأحضر لك الشوكولا، وستتكلم لاحقاً».

صرخت ماريا بسرعة: «لا تنسي البوظة».

وعدتها نيكول بالبوظة، وخرجت. استلقت ماريا مجدداً، وأخذت تشاهد مسرحية تلفزيونية أخرى، وتعبت كي تفهم مغزى تلك القصة.

سمعت صوت مفتاح نيكول في قفل الباب. حركت عينيها وهي تفكر أن نيكول تنسى حقيبتها في المنزل في معظم المرات!

لكن الخطوات التي سمعتها تقترب لم تكن خطوات نيكول بل أثقل منها. أدارت رأسها فوق الأريكة لتتفقد الصوت. هل يعقل أن يكون سارقاً؟ أم هو شخص أكثر خطورة؟

نعم! إنه كذلك... وقد بدت خطواته مصممة.

لاشك أن إدي التقى بنيكول وهي خارجة، وسمحت له بالدخول.

ارتمت ماريا في الأريكة إلى الخلف، واندست تحت الغطاء آملة أن يفهم المقصد.

ظهر ظل إدي فوقها. بعدئذٍ جلس إلى جانبها وربت فوق كتفها قائلاً: «هاي... كيف حال شريكتي في القفز؟».

- ارحل من هنا.

- ما المشكلة؟

- لاشيء. أريد فقط أن أبقى بمفردي كما قلت لك. هل أطلب منك الكثير؟

لم يتراجع إدي بل قال: «نعم... الكثير. هل اتصل والدك بك؟».

- والدي؟ لا أعلم. لقد نزعت قابس الهاتف.

جلست ماريا مكانها، وقالت وهي تشعر بالقلق: «لماذا؟ هل حدث أمر ما؟».

هز إدي رأسه، وقال: «لا. فكرت فقط أنه قد يود تهنئتك لقيامك بالقفزة».

تأوهت ماريا، وعادت لتنام فوق الأريكة وتتغطى.

- بالكاد أستحق التهنئة. ارحل من هنا!

- لا!

- ذهبت نيكول لإحضار البوظة. لا أظن أنك تود أن تكون موجوداً حين أقوم بالقضاء عليها كلها. قد أتقيأ عليك مجدداً.

- نعم. ذكرت لي أن الحادثة أثرت بك كثيراً.

- أحقاً؟ حسناً! حين تأتي نيكول سوف تجد أن أعمالها الفنية المميزة قد قضي عليها كلها.

ستقوم برمي بعض رسومات نيكول على الأرض كي تسير القطتان عليها.

شعرت ماريا بإدي يقترب منها وينحني فوقها. أغمضت عينيها لتدافع عن نفسها، فيما قال إدي: «لماذا تعتبرين الأمر مهماً؟ هل تظنين أنني لم أرَ يوماً مبتدئة تتقيأ؟ أصبحت لدي مناعة حيال هذا الأمر».

- حسناً! انتهى كل شيء الآن. أنا استسلمت. مبروك... أنت الفائز في النهاية.

- أحقاً؟ وما هي جائزتي؟

- الشركة. ألا تذكر؟ هل نسيت ما سبب هذا كله؟ الشركة أصبحت لك.

صمت إدي قليلاً ثم قال: «أهذه الدرجة؟».

- ماذا تقصد بقولك: لهذه الدرجة؟ والداي لا يريدان شخصاً مثلي ليدير الشركة. علي ألا أجبرهما على ذلك. إنها شركتهما، وهذا قرارهما. والآن أصبحت الشركة لك.

- ماريا!

- نعم؟

- انظري إلي.

- أنا أشاهد التلفزيون. ارحل من هنا. ستفوت علي المشاهد المهمة.

- لن أغادر المكان فقط لأنك متجهمة. يجب أن نتحدث سواء أحببت الأمر أم لا.

- أنا لست متجهمة. هل تظنني في السادسة من عمري؟ أنا أشاهد التلفزيون وإن استمريت بالكلام ستفقدني تركيزي.

أطفأ إدي التلفزيون. حاولت ماريا أن تعترض وتأخذ منه جهاز التحكم عن بعد، فتشابكا مع بعضهما لبعض الوقت. في النهاية طار الجهاز في الهواء، كي يهبط أخيراً على الأرض إلى جانب فلير التي أطلقت مواءاً قوياً معترضة بسبب خوفها، وغادرت الغرفة.

وجدت ماريا نفسها في وضع مثير للاستغراب: مقلوبة رأساً على عقب فوق الأريكة. والأسوأ من ذلك أن إدي كان يمسك بها بقوة.

- ألم أعاني بما فيه الكفاية اليوم؟

بدا سؤالها موجهاً للعناية الإلهية وليس لإدي.

تمتم إدي قائلاً: «هـمم...».

كان جسده كله يضغط عليها. بدا من الواضح أنه استحم مؤخراً، فرائحة الصابون لاتزال تفوح منه. لكن ماريا فتحت فمها لتصرخ به.

- ابتعد عني! اذهب لاصطياد تمساح!

- لا أستطيع.

- ماذا تعني أنك لا تستطيع؟

- إننا في وضعية صعبة. إن تحركت سنقع كلانا على الأرض.

- سأغامر في هذا.

- هل أنت واثقة؟

مرر يده فوق ذراعها حتى وصل إلى يدها، فأمسكها بقوة وقال: «هذا ممتع. أليس كذلك؟».

- ممتع؟

- نعم. حسناً! قد يكون ممتعاً أكثر لو أنك في مزاج أفضل.

مزاج أفضل؟ بدا مزاجها متقلباً بشكل سريع جداً. ففي لحظة كان ينقلب من اليأس إلى الغضب ثم إلى البهجة وأخيراً إلى الذعر.

حاولت التملص من قبضته. حاولت مجدداً وهي تقوم بتنشق رائحة شعره خفية.

- ماريا... ما الذي تفعلينه؟

بدا صوته عميقاً وقد أصبح وجهه بمحاذاة عنقها.

حركة مفاجئة جعلتهما يقعان فجأة على الأرض بين الأريكة وطاولة القهوة وقريبين جداً من بعضهما.

- ما الذي أفعله أنا؟ أنا كنت أشاهد التلفزيون خلال حفلة الرثاء الخاصة بي. ما الذي تفعله أنت؟

- لا شيء مهم.

رفع رأسه أخيراً وبدا أنها أصبحت بأمان الآن. كان وجهه أحمر بسبب المشادة بينهما وشعره مبعثر، لكن ظهرت على فمه أكثر ابتسامة جعلتها تشعر بالغيظ يوماً.

ابتسامة جذابة بشكل مزعج.

- إن حاولت التملص مني مجدداً سوف تقعين في ورطة كبيرة.

- سبق ورميتني من الطائرة اليوم، ألم يكن ذلك تعذيباً كافياً لي؟

- آه، يا إلهي!

ليس ما يقوله هو ما يعذبها، بل مجرد سماع صوته.

- توقف... عن المواء!

بدأ إدي يضحك مجدداً، لكن ذلك لم يكن جيداً لأن صدره أخذ يهتز فيما لا يزال جسده قريباً منها، ما جعلها تشعر به بقوة.

كيف بحق السماء أصبحت ذراعها ملتفة حول عنقه وكأنها تحاول جعله يقترب أكثر منها؟

قالت ماريا وقد بدأت تحرك رقبتها: «علينا أن نتوقف. إدي؟».

www.elromancia.com

أحست بحلاوة التلفظ باسمه، وبدا لها ذلك أمراً محبباً. ما خطبها الآن؟
تابعت تقول: «علينا أن نتوقف. ستصل نيكول وتفاجئنا مرة أخرى».
غمغم إدي: «هـمم... هـمم...!».
- ماذا؟
- لا! لن تفعل.
قالت: «بلى، ستفعل».
بدت عيناه الزرقاوان ذات لون أزرق داكن ساحر.
تابعت ماريا تقول: «ذهبت إلى المتجر لشراء بعض الحاجيات الأساسية كالشوكولا والبوظة، لذا ستعود في أي دقيقة».
حاولت استجماع أفكارها. لم تعد تدري كيف ستتصرف إن استمرا في هذا.
كادت أنفاس إدي تنقطع أيضاً، لكنه تمكن من القول: «لا. قالت لي بالتحديد إنها ستتأخر... ستتأخر كثيراً، وإنها لن تأتي إلا بعد منتصف الليل. بالإضافة إلى أنها أعطتني مفتاحها، لذا سيكون عليها أن تقرع الجرس حين تعود. نحن في أمان هذه المرة».
يا لنيكول الخائنة!
على الأرجح أنها ستحتفظ بعلب الشوكولا لنفسها أيضاً.
ابتسم إدي، وقال: «ألديك المزيد من الأعذار، أم أنك ستصمتين وتعانقيني؟».
وضعت يدها خلف رقبته، ومررت أصابعها بين خصلات شعره، ثم اعترفت قائلة: «نفدت مني الأعذار».
مرت عبر جسدها رسائل متشابكة جعلت أعصابها تهتز، لكنها وجدت أن أفضل نصيحة سمعتها اليوم هي أن تصمت وتعانقه.
- هل أنت واثق أنها لن تأتي إلا بعد منتصف الليل؟
هز إدي رأسه.
وقفت ماريا ومدت يدها له، ثم قالت: «في هذه الحالة دعني أخبرك بما

أخفيه».
- انتظري!
- أعتقد أنه يجدر بنا أن نتحدث، لننهي الأمر قبل أن نتورط أكثر.
لم يقف إدي كما توقعت، فجلست ماريا على الأريكة واقتربت منه بشدة على أمل أن تنسيه جديته، ثم قالت: «ملكية الشركة مسألة كبيرة جداً، لكن الأمر أصبح واضحاً الآن. أنا لم أعد أريدها».
لامست أصابعها رقبته وهي تفكر أنها تريده هو لا الشركة. تابعت تقول: «إنها لك».
وكذلك أنا! فكرت ماريا في سرها.
لكنه عاد ليقول تلك الكلمة المزعجة: «انتظري!».
ابتعدت ماريا عنه إنشاً واحداً، وحدقت في عينيه. غرقت لدقيقة في دفئهما لكنها عادت إلى أرض الواقع حين سمعت مجدداً كلمة: «انتظري».
- ماذا هناك إدي؟
- الشركة...
- إنها لك.
- نعم، بالضبط. أصبحت لي أصلاً.
بدا إدي متألماً. دفعته ماريا بعيداً واضعة كلتا يديها فوق صدره، فيما أخذت الأفكار تتسارع في رأسها. لم تفهم جيداً ما قاله.
- ماذا تقصد بأنها... أصبحت لك أصلاً؟
- تمت الصفقة خلال الفترة الماضية... تعرفين هذا. اعتقدت أنهم سينتظرون، لكن والدك اتصل هذا الصباح، وأخبرني أن كافة الأوراق انتهت وأن الصفقة قد تمت.
رفعت ماريا يداً كي تزيل شعرها عن عينيها. تسارعت دقات قلبها، إلا أنها لم تشأ أن تفقد التواصل المباشر معه.
- ماذا؟ ما الذي تعنيه بأن الأمر انتهى... هذا الصباح؟ هذا الصباح... قبل أن اقوم بالقفز؟

- نعم. ماريا. . . !

- هل تريد أن تخبرني أنني حين قمت بالقفز كانت الشركة قد أصبحت ملكك؟

هز إدي رأسه بحزن وقال: «نعم».

- وأنت لم تخبرني؟ جعلتني أقوم بالقفز من أجل لا شيء؟

- أنا آسف. أردت أن أخبرك، لكنني عرفت بالأمر وأنا في طريقي لأقلك. كنت مستعدة للذهاب، كما أن والدك قال إنه سيخبرك بنفسه.

نظر إدي إلى ساعته، وقال: «بما أنه لم يخبرك بعد فعليّ أن أخبرك الآن».

كيف تمكن والدها من فعل هذا بها؟ ذلك ليس فقط تجاهلاً لها وتلاعباً بها، بل هو يدل على عدم احترامه لها.

- لم يكن ينوي أن يجعلني أكسب منذ البداية. أرادني فقط أن أحاول وأفشل. أليس هذا صحيحاً؟

- أنا آسف!

أرادت ماريا أن تتنهد بقوة كي تحصل على بعض الطاقة. أرادت أن تقف، إلّا أنها كانت قريبة جداً من إدي لذا بدا ذلك صعباً جداً. كان عليها أن تغضب، لكن التعب سيطر عليها. لمَ تراها حاولت حتى أن تكسب احترام والديها؟ ألم تكن تعرف أن ذلك ليسَ ممكناً؟

مرر إدي يده في شعرها، وقال: «ماريا!».

- كيف استطاعا فعل هذا بي؟

في الواقع لم تكن ماريا تتحدث مع إدي بل إلى والديها.

- أنا آسف!

بالطبع! يجدر به أن يشعر بالأسف عليها.

- كنت تعلم. . . شاركت في هذا أيضاً.

- نعم. أنا آسف.

عادت ماريا لتركز على وجهه. لم يخبرها إدي بالتفاصيل، لكنها توقعت

أن يكون والدها قد ضغط عليه بالتأكيد.

- لا أصدق أن والدي لا يثق بي إلى هذه الدرجة أو في الواقع. . . بلى، أصدق بالطبع. لطالما كان الوضع مماثلاً. . . إن لم أكن مغامرة، فأنا نكرة بالنسبة إليه.

وضع إدي يده فوق كتفها، وهزها قليلاً. رفع صوته قائلاً: «لا تقولي هذا ماريا! لا تقولي هذا أبداً! يجب ألا تقيسي نفسك حسب قوانينهما! أنت ذكية وموهوبة وجميلة. . .».

بدأت عيناها تمتلئان بالدموع. إنه صادق في ما يقوله حتى لو لم تكن هي تصدق هذا. همست قائلة: «تابع الكلام فقد أسامحك. . . مع أنك شريكهما في الجريمة».

ابتسم إدي، وقال: «أنت رائعة كما أنت».

راح يمسد شعرها بنعومة، فيما تابع: «أنت مميزة كما أنت. من يأبه إن كنت لا تحبين قضاء وقت فراغك في تغيير معدل الأدرينالين في جسدك؟».

- أمي وأبي. . لاسيما أبي.

- إنها مشكلتهما وليست مشكلتك. كما أنك تعلمين أنهما فخوران بك على طريقتهما.

شعرت ماريا بالغضب من والديها، لكن إدي ليس مثلهما. لقد أسمعها الكثير من الكلام الجميل، وهي لن تستطيع البقاء غاضبة منه أيضاً.

لكن ذلك لا يعني أنها لا تريد أن تخيفه قليلاً، لذا قالت: «حسناً! بالرغم مما يبدو عليه الوضع الآن فأنا لن أسكت أبداً».

نجحت في إخافته، فقد أجفل وتلعثم وهو يقول: «آه! أحقاً؟ هل ستبدئين الآن بإطلاق الشتائم ونعتي بصفات سيئة؟».

- أبي سيواجه مشكلة كبيرة معي الآن.

- والدك؟ آه. . . نعم! إنه في مشكلة كبيرة بالتأكيد. . . الكثير من المشاكل. أنت محقة.

- من الأفضل لك أن أكون غاضبة منه وليس منك. أليس كذلك؟

- هذا ما فكرت به بالضبط. أنت لست غاضبة مني. أليس كذلك؟

وضعت أصابعها حول أذنه وأمسكت بها، ثم قالت: «بل أنا غاضبة، لكنك محق. الأمر لا يستحق العناء. بالإضافة إلى أنني سبق وقررت بأنه يمكنك الحصول على الشركة، أما أنا فلدي الكثير من الأمور الأكثر أهمية كي أقلق بشأنها».

- مثل ماذا؟

- عرفت لماذا تريد الشركة، ولماذا أنت بحاجة إلى البقاء هنا. ستبقى من أجل جيني وساموبل، وذالك تصرف نبيل من قبلك. ليتك أخبرتني بالأمر منذ البداية... لاعليك! أنا سعيدة لأنك لم تخبرني، لأن ذلك كان سيحرمنا من المرح.

- أنا لست نبيلاً، لكنني أحاول أن أكون لمرة واحدة على الأقل شقيقاً داعماً. جيني تستحق ذلك. كما أنني عراب ساموبل، لذا فأنا أقوم بواجبي.

- نعم. أنت لطيف.

- يا للنساء! لطالما تخيلت أنك ستتقبلين الأمر وأنت تبتسمين وتناديني باللطيف.

بدا إدي ظريفاً جداً. استغربت ماريا كيف أخذ غضبها ويأسها من والديها يختفيان. لديها أشياء أفضل تقوم بها الآن...

- هـمم... هل بإمكاننا التوقف عن الكلام الآن؟

- ليس تماماً.

- ماذا هناك أيضاً؟

- خطرت ببالي فكرة لتنتقمي من والديك، وأظن أنها طريقتي لأعوض عليك.

- أنا أستمع.

- ألم يقل لك والداك إنهما سيعطيانك نصف المال؟ لذا إن كنت تريدين الحفاظ على الشركة للعائلة بإمكانك شراء نصفها مني.

- وماذا بعد ذلك؟

- سنديرها معاً.

كيف يمكن لفكرة معينة أن تكون ممتازة وفظيعة في الوقت نفسه؟

أمسك إدي خصلة من شعرها، ولفها حول إصبعه وهو يحدق في عينيها. إنها لا تزال تشعر بانقطاع في أنفاسها.

- إن لم تعجبك الفكرة لدي فكرة بديلة.

- ما هي؟

- بإمكاننا الانتقال إلى دمج أكثر عمقاً.

بدأ يغمغم من جديد، ولم تعد ماريا قادرة على التركيز في كلماته أكثر. لأول مرة هذه الليلة، أرادت بيأس أن تركز. ما الذي سيقترحه؟

عليها أن تكون حذرة جداً كي لا تقفز إلى الاستنتاجات الخاطئة لأن كل شيء في داخلها أراد القفز إلى النتيجة.

- عمَّ تتحدث؟

- عن تقاسمنا نحن الاثنين كل شيء... ستتقاسم الشركة، و...

ألقت رأسها فوق كتفه، وراحت تتنشق عطره. قالت: «لا أستطيع الوقوع في حبك».

حاولت ماريا أن تتجاهل أنها وقعت في حبه بقوة، ولم يكن هناك مظلة تنقذها.

- ألا تستطيعين؟

- لقد فعلت. أليس كذلك؟ لكن يجب ألا أفعل.

- لِمَ لا؟

- لأن ذلك ملائم جداً، ووالداي سوف يحبان الأمر كثيراً.

- لا مشكلة. يمكننا أن نتزوج بصورة سرية إن كان هذا ما تفضلينه، فلا نخبر أحداً بالأمر.

- نتزوج... سراً؟

- لطالما أعجبتني تلك الفكرة. إنها مشوقة.

www.elromancia.com

- لكن. . .

- أو أن بإمكانك أن تتخطي مسألة والديك ولا تهتمي لما يفكران به، لاسيما أنك لن تنجحي في جعلي أبتعد عنك بسببهما. لن أسمح بذلك.

مررت يدها في شعره وخاطرت في النظر نحوه مجدداً، بالرغم من أنها شكت بأن عينيها ستدمعان مجدداً. قالت: «متى أصبحت ذكياً جداً؟».

- لطالما كنت كذلك لكنك لم تلاحظي الأمر.

- لكننا مختلفان جداً. أنا هادئة وأعيش حياة عادية تخلو من الإثارة. اكتفيت من الإثارة، وأصبحت أعشق الملل.

- لا. أنت لست كذلك.

- بل أنا كذلك.

- لا! أنت تحبين الإثارة، لكنك لا تحبين الشعور بالرعب.

وضع يده حول رسغها كأنه يقيس نبضها، وتابع يقول: «أنت تحبين ذلك. . . حين أجعل دقات قلبك تتسارع».

آه. . . يا إلهي!

- أنت متعجرف إدي.

- أنا فقط أنقل الوقائع.

أمسك يدها ووضعها فوق صدره، وتابع يقول: «هل ترين؟ الأمر يسري مفعوله في الاتجاهين».

شعرت ماريا فعلاً بدقات قلبه السريعة تحت يدها.

- ربما. . . جسدك متعب وصحتك ليست على مايرام لا أكثر.

لكنها لم تبدِ على عجلة في إبعاد يدها عنه.

- أنت تعترضين كثيراً. لِمَ تفعلين هذا؟ أهي عادة سيئة لديك؟

- أنت عادة سيئة.

- بدأ الأمر يصبح متعباً.

- أحقاً؟

- أعتقد أنه يجدر بنا تبادل الأدوار مجدداً. لمرة قومي بمطاردتي وأنا

سأكون المتردد.

- المتردد؟ إدي. . .

- دعينا نجرب هذا.

ابتعد إدي عنها، وفجأة أصبحت هي من تمسك به. تابع يقول: «لن تنجح طريقتك الشريرة أبداً معي».

أخذت ماريا تضحك، ثم قالت: «قلت لك إن علم النفس العكسي لا ينفع معي. طريقتي الشريرة؟».

قال لها: «نعم. ويا لها من طريقة شريرة رائعة!».

- تقيأت عليك بعد القفزة. ما الذي يخبرك به ذلك عن مدى انسجامنا مع بعضنا؟

- علي أن أتعلم كيف أبعد الشعر عن وجهك عندما تفعلين.

- آه. . . أرجوك!

- ماريا. . . ! أنا أحبك.

حبست ماريا أنفاسها. . . انتظرها إدي كي تقول شيئاً، لكنها لم تفعل. قامت بلف يديها حول عنقه، ونظرت نحو قميصه كي لا تلتقي عيناها بعينيه، ثم قالت: «وأنا أيضاً أحبك».

همس في أذنها: «جيد أنك تكلمت. لقد أخفتني لدقيقة».

- جيد، فأنت تستحق ذلك. أنت أخفتني طيلة الصباح ولساعات طويلة. هل نسيت؟

- ماريا، ذلك لا يحتسب مقارنة بما شعرت به وأنا أنتظر إجابتك.

وضعت ماريا يدها فوق صدره فشعرت بدقات قلبه تتسارع مجدداً.

- أنا حقاً أحبك إدي. لم أشأ أن يحدث ذلك لي، لكنه حدث.

رفع إدي يدها وقبلها، ثم قال: «حسناً! عليك الآن أن تتعايشي مع الوضع حتى الأبد».

- لكنني أتمنى بالرغم من هذا أن نخفي الأمر عن والديّ لفترة، فهذا سيعجبهما كثيراً!

www.elromancia.com

- أيعني هذا أنك تقبلين بالدمج الذي تكلمت عنه؟
- عليك أن تكون دقيقاً أكثر في كلامك. فأنا أحاول عدم القفز إلى الاستنتاجات.
عانقها إدي عناقاً رقيقاً مليئاً بالوعود التي جعلت عيني ماريا تدمعان.
همس لها فوق وجنتها: «هل توافقين على الزواج بي؟».
- إدي... أخبرتني أنك لم تطلب من قبل يد امرأة للزواج.
- نعم، لم أفعل من قبل. ألا ترين أنه ينقصني بعض التمرين؟
- بدا ذلك لطيفاً. تباً...! سأبدأ بالبكاء.
- أهذا يعني أنك موافقة أم لا؟
هزت رأسها بقوة، وقالت: «نعم، موافقة. مع أن هذا سيعجب والديّ كثيراً».
ضحك إدي بينما مرر يده في شعرها بطريقة اكتشف أنها تحبها كثيراً، فأغمضت ماريا عينيها مستمتعة بالأمر.
- بإمكاننا أن نهرب إذا أردت. سيثير ذلك جنونهما.
- لا بأس بالفكرة. سأدرسها جيداً. ربما نستطيع القيام بما يشبه المغامرة... شيئ يتطلب الجرأة لكنه آمن.
- يعجبني ذلك.
- هل ستشعر بالملل إن قمنا برحلة بحرية؟
- أي نوع من الرحلات البحرية تقصدين؟
- رحلة على متن سفينة فخمة، حيث لا تقوم بشيء سوى بالأكل والشرب والتنزه على ظهر السفينة.
- يبدو ذلك جيداً. إن كانت سفينتك تلك مزودة بغرفة ذات سرير مزدوج فذلك سيبهجني أكثر. بمناسبة الحديث عن السرير...
- أتعلم...؟ وجدت نهاية لقصة ماريوس.
- أخبريني عنها!
- حسناً! ماريوس اكتشف السبب الذي دفع فيولا إلى القيام برحلة

طويلة وإلى مواجهة تلك الأخطار. أرادت أن تجد الريشة التي تعجب ماريوس كثيراً كي تقدمها له.
- إذاً، فيولا قامت بذلك كله من أجله.
- نعم.
- إذاً، هي معجبة به منذ البداية لا بالتنين الشرير.
- صحيح! لكنها خشيت ألّا يبادلها الاعجاب، لذا ادعت أنها لا تكترث له. ما رأيك؟
- هـمم... لا أعلم. ما هي العبرة من هذه القصة؟
- أمن الضروري أن تحمل عبرة؟
- أظن ذلك.
- سأطلب من الأطفال أن يكتشفوها إذاً أو فليكتشفها أهلهم.
- تبدو هذه خطة محكمة.
- هل ستجلس كي أرسمك من أجل قصتي المقبلة؟
- بالتأكيد، إن كان الأجر مناسباً. أهي سلسلة من القصص؟
- أعتقد هذا. سبق أن فكرت بموضوع القصة المقبلة. قفزة المظلة ألهمتني.
- أحقاً؟
- سيتعلم ماريوس الطيران.
عبس إدي، وقال: «ماريا... ماريا... ماريا...!».
- ماذا؟
- قمت ببحث سيء مجدداً.
تنهدت ماريا، وقالت: «ما المشكلة الآن؟».
- البطريق لا يطير.
شبكت ماريا أصابع يديها خلف رقبته، وابتسمت له. خطرت ببالها طريقة وحيدة كي تجعله يصمت. فقالت: «إنه يطير الآن!».
ذات مساء عاد الحب